طلعنا عالحريّة

نصف شهرية، سياسية، ثقافية، مستقلة

مجلة مستقلة، تعنى بشؤون الثورة السورية، نصف شهرية، تطبع وتوزع داخل سوريا وفي عدد من مخيمات اللجوء والتجمعشات السورية في الخارج

2016 / 12 / 31

العدد 83

هدنة جديدة بحسابات جديدة

افتتاحية بقلم مازن درويش

يحقُّ للسوريين الذين أُثخنوا قتلاً وتهجيراً واعتقالاً طوال السنوات الماضية أن يفرحوا لخبر وقف اطلاق النار خصوصاً أنه يأتي ضمن سياق حلٍّ سياسيٍّ شامل - كما يشاع - فربما ضحيّة أخرى لن تسقط اليوم، ولربما طفل آخر لن تبتر احدى أطرافه غداً، ولأنّ كلّ قطرة دم يمكن توفيرها قبل بلوغ الحلّ النهائيّ هي مكسبٌ لنا جميعًا.

وعلى الرغم من كل ذلك كله،علينا ألاّ نسقط في وهم التفاؤل. اذ لم يترك نظام البراميل المتفجرة وحلفاؤه مكاناً للنوايا الطيبة في ضوء اصرارهم المُعلن على الحاق الهزيمة التامّة بكلّ من عارضهم، ولأيّ سببٍ كان، وبغضّ النظرعن الطريقة، وليس أقلّ من تطهير محيط العاصمة دمشق بالحدّ الأدنى. بالاضافة الى التعقيدات الإقليميّة والدوليّة التي تجعل من هكذا تفاؤل أقرب ما يكون الى القراءة الرغبويّة البعيدة عن حقائق السياسة ودهاليزها، حيث لم يُخفِ أطرافٌ كُثرعدم حماسهم لهكذا اتفاق. بعضهم لكون الاتفاق انجاز روسي - تركي صرف، الأمر الذي أظهرهم كأطراف ثانويّة على ساحة الصراع، ولعلّ أبرز هؤلاء إدارة الرئيس "أوباما" التي تعرّضت لاذلالٍ سياسي لم يسبقها اليه أحد في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية الدبلوماسي، الأمر الذي لم يستطع الرئيس "أوباما" اخفاؤه، فأتّى قرار طرد الدبلوماسيين الروس كتأكيدٍ على ذلك الاحساس بالمهانة.

يعلم الساسة الروس أنّ الولايات المتحدة - رغمّ كلّ شيء- تملك أدوات كافية لاجهاض الاتفاق، ولذلك ربما تسعى الدبلوماسيّة الروسيّة إلى تثبيته عبر مجلس الأمن، لتحصينه واعطائه طابعاً دوليّاً مُلزماً. إيران أيضاً والتي كانت طرفاً رئيسيّاً في إعلان موسكو الثلاثي قبل أيام، وجدت نفسها اليوم خارج المطبخ السياسي الروسي- التركي، حيث لم ينجح اتصال وزير الخارجيّة "لافروف" بنظيره الايراني "ظريف" بطمأنة ايران وفق ما أعلنه "محمد صدقيان" مدير "المركز العربي للدراسات الإيرانية" الذي قال: (إنّ هناك قلقاً لدى الجانب الإيراني، وتريد ايران الوقوف على حقيقة التفاهمات مع فصائل المعارضة السورية، خاصّة المُدرَجة على قوائم الإرهاب). هذا القلق تتشاركه معها أيضا جبهة فتح الشام "النصرة سابقا"، والتي بدأت توقن أنّها ستكون كبش المحرقة, بالاضافة الى كيانات سياسية معارضة بدأت تتلمس انتهاء صلاحيتها.

حقيقة التفاهمات الروسيّة التركيّة التي أبرمت بعد تطبيع العلاقات الثنائية بين البلدين في شهر آب المنصرم ربما سهّلت استعادة قوات النظام وحلفائه لأحياء "حلب الشرقية" مقابل اجهاض "فدرالية روج آفا كوردستان" في شمال سوريا، لكن المؤكّد أيضاً أنّه لم تتكشف جميع جوانب هذه التفاهمات بعد، على الرغم من وجود الكثير من الدلالات على أنّ هذه التفاهمات ستغيّر الكثير من مجريات الأمور في سوريا، خصوصاً اذا صدقت المعلومات التي تفيد أنّ فريق الرئيس الامريكي المُنتخب "ترمب" ليس بعيداً عنها.

طلعنا عالحريّة

مجلة نصف شهرية تعنى بشؤون الثورة
تطبع وتوزع داخل المدن والقرى السورية
وفي بعض مخيمات اللجوء

www.freedomraise.net

- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها أولاً ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير
- المجلة غير ملزمة بنشر كل ما يردها من مواد

رئيس التحرير ليلى الصفدي

تفاعل معنا عبر صفحاتنا على الإنترنت

facebook.com/freeraise
twitter.com/freedomraise
info@freedomraise.net

معاون رئيس التحرير: أسامة نصّار
قسم حقوق الإنسان: أنور البني
قسم المرأة: يارا بدر
المحرر الاقتصادي: وائل موسى
الغلاف: سمير خليلي
كاريكاتير: سمير خليلي
زملاء مختطفون في الغوطة الشرقية: رزان زيتونة - ناظم حمادي

وادي بـردى بين مرّين

أنور عباس

يقف وادي بردى اليوم بين خيارين أحلامها مرّ؛ فمن جهة يخشى أهله أن يكون التهجير هو المصير الذي ينتظرهم، فيميل بعضهم للقبول بعرض النظام للاستسلام غير المشروط ومغادرة الثوار نحو الشمال، لكنهم في الوقت ذاته لا يثقون بهذا النظام الذي يثبت يوماً بعد يوم أن خططه في تغيير التركيبة السكانية لمحيط دمشق سائرة قدماً دون تردد. وهو مستعد لاستخدام أعتى أشكال القوة لتأمين محيط العاصمة وإحلال سكان جدد مكان أولئك الذين ثاروا عليه، فيميلون حينها إلى مواصلة القتال ويقضون لياليهم الباردة في الصلاة إلى الله على أمل النصر!

ظنّ أهالي وادي بردى أن التفاهم الضمني مع النظام والقائم على الأمن وعدم الاقتحام مقابل أمن دمشق المائي سيحميهم من بطشه، لكنه وإذ أنهى تفريغ حلب الشرقية، وقبلها داريا وحمص والزبداني، وفرض الاستسلام غير المشروط على الهامة وقدسيا والتل وقبلها أشرفية الوادي، يلتفت اليوم إلى وادي بردى، طالباً من ثواره الاستسلام والتسوية أو الرحيل.

لا شكّ في أن وجود نبع الفيجة في هذا الوادي أخّر مخططات النظام في استعادة السيطرة عليه، وربما أنه حمى الوادي فعلياً من اقتحام عسكري كان مرتقباً منذ أن خرج الوادي عن سيطرته عام 2012، وبعد محاولة اقتحام فاشلة. لكن النظام شنّ غارات بالطيران الحربي والبراميل عام 2015 بعد أن قام الثوار بقطع المياه عن العاصمة دمشق في محاولة يائسة للّي ذارعه تضامناً مع الزبداني التي كانت تشهد حملة جوية لم يسبق لها مثيل، أدت في النهاية إلى تهجير أهلها جميعاً، باستثناء عدد قليل من الثوار الذين بقوا فيها، وبعد أن أصبحت ورقة ضغط في معادلة مضايا والزبداني/ كفريا والفوعة من جهة أخرى.

حول النظام معركته مع الثوار إلى معارك محلية، أحسن إدارتها. وساهم تشتت الثوار وتحول الكثير منهم إلى "مجاهدين" محليّين في إنجاح هذه الاستراتيجية. ولن ينجو وادي بردى، فهو ليس استثناء على ما يبدو، ويحمل أهمية استراتيجية بسبب وجود مصدر مياه الشرب الأساسي للعاصمة فيه، ولوقوعه على محور جنوب لبنان/ طرطوس الذي تسعى إيران وحزب الله إلى

تنظيفه لجعله محوراً شيعياً موالياً بالكامل، وهو من الناحية العسكرية، في موقع ضعيف جداً، إذ تحيط به قوات النظام من كل جانب، وتحتل تلاله وجباله؛ فهو في مرمى مدافعها ودباباتها، ناهيك عن الطيران الذي استهدفه ولازال يستهدفه، ويمكن أن يقلب المعادلة الحالية خلال أيام قليلة؛ حيث لازال الثوار ينجحون في صدّ محاولات الاقتحام من محوري الدريج-بسيمة والديماس- دير قانون. لكن التجارب التي رأيناها في المناطق الأخرى لا تشي أبداً بأن النظام سيثنيه صمود الثوار، وأن اقتحام الوادي عنوة سيعني تهجير أهله دون شكّ.

على المقلب الآخر للمشهد الدموي الذي نراه في الوادي، حيث يتعرض للقصف اليومي، وتحاصره القناصة من جميع أطرافه، ويعاني سكانه من غياب الكهرباء والماء والاتصالات، وغياب أي معلومات دقيقة عن مدى قدرته على احتمال الحصار، نرى في العاصمة دمشق تذمراً غير مسبوق من أهلها، بسبب ما حلّ بنبع الفيجة من خراب، علماً أن المعلومات التي أتت من المنطقة تؤكد بما يدع مجالاً للشكّ، بأن الخراب الذي حلّ به وخروجه عن الخدمة نجم عن سقوط عدد من البراميل المتفجرة عليه ألقتها مروحيات النظام، وأن أربعة من شباب القرية الذين نذروا أنفسهم لحماية النبع قد استشهدوا جراء الغارة الأولى التي استهدفته.

يحتل نبع الفيجة مكانة سامية في نفوس أهالي عين الفيجة، فهو مصدر فخر لهم، وهم يتباهون بنسبته إلى قريتهم وبانتسابهم له، ويرون فيه مصدر قوة لهم، وقد سعوا لعقود طويلة إلى حمايته، رغم أنهم دفعوا ثمناً باهظاً لوجوده في قريتهم؛ فقد استملكت أراضيهم على مدى العقود الماضية تباعاً، وأصبح الباقي منها حرماً لهذا النبع، وكلفهم ذلك الكثير.

لقد شربت دمشق من مياه الفيجة منذ عهد الرومان الذين كانوا أول من جر ماء نبعها إلى هذه المدينة، وفي عهد ناظم باشا صاحب القناة المشهورة التي وزعت المياه على خمسمئة سبيل في دمشق، ثم بفضل مشروع لجنة مياه عين الفيجة الذي تم في العهد الفرنسي، وقام عليه الحفار والخوري ورجالات السياسة والتجارة في دمشق لخدمة أهلها، إلى النفق الجديد الذي شُقّ في نهاية السبعينات ليروي من لم تكن تصلهم مياه الفيجة في دمشق وبعض ضواحيها.

ويشعر أهالي عين الفيجة اليوم بأن هذه التضحيات الكبيرة وحرصهم خلال سنوات الحرب الخمسة التي رافقت الثورة على سلامة النبع وحمايته من أي ضرر أو تخريب قد يلحق به تذهب سدى، وأن أهالي العاصمة يتحدثون بكثير من السوء عنهم دون معرفة بما يقومون به، ويلقون التهم عليهم جزافاً، وينجرون وراء الروايات البائسة والخبيثة التي يروج لها إعلام بشار الأسد، وصفحات الموالاة على فيسبوك، كصفحة دمشق الآن التي تنضح بالكراهية والحقد، وصفحة يوميات قذيفة هاون التي تتسم بالرخص والتهريج في وقت نحن في غنى فيه عن مثل هذا العبث غير المجدي.

في الوقت الذي يغامر النظام المجرم والمجنون بمصدر الماء الوحيد الذي يروي العاصمة، يحوم شبح العطش فوق دمشق، ويقبع أهالي الوادي الذي مدها بالماء وروى أراضيها وغوطتيها وأهلها لقرون طويلة تحت القصف والجوع والعطش والبرد والخوف وشبح التهجير.

سكان حلب الشرقية ورحلة التهجير والشتات

كمال شيخو

بوجوههم المتعبة، وملابسهم المهترئة، وحقائب شبه خاوية وُضّبت على عجل، احتوت قليلاً من الحوائج الشخصية وكثيراً من القهر والحزن والانكسار، هُجّر سكان مدينة حلب الشرقية!

ذاك النزوح الأخير وصفه سكانها "بيوم القيامة"، إذ لم يكن يتوقعه قاطنو تلك المناطق المحاصرة، وتمنوا لو أنه مجرد كابوس شتوي سيمر عليهم؛ دون أن ينخر البرد عظامهم في الواقع ويجبرهم على المبيت في العراء لأيام ثم تبدأ رحلة النزوح والهروب إلى المجهول.

بعضهم تمكنوا من الفرار إما سيراً على الأقدام قاصدين حي "الشيخ مقصود" المجاور ذي الأغلبية الكردية، أو نحو المناطق الواقعة تحت سيطرة النظام غرب المدينة، أو عبروا إلى الريف الشمالي باتجاه بلدتي إعزاز ومارع.

خالية من سكانها

ومن تبقى من سكان حلب الشرقية، بقوا عالقين ثلاثة أيام بين 16 كانون الأول/ديسمبر و19 من الشهر نفسه، انتظروا دورهم إلى أن تمّ إجلاؤهم نحو مناطق ريف حلب الغربيّ، ومنها إلى مدينة إدلب وريفها (غرب سوريا)، وفق اتفاق رعتهُ تركيا وروسيا أُجلي بموجبه الآلاف من المدنيّين والمقاتلين بمن فيهم نساء وأطفال وجرحى.

وباتت أحياء "مساكن هنانو"، و"الحيدرية"، و"الإنذارات"، و"بعيدين"، و"الصاخور"، و"الشعار"، و"القاطرجي"، و"جبل بدرو" و"بستان الباشا" وغيرها من أحياء حلب الشرقية خالية من أصحابها.

ونشر نشطاء وإعلاميّون معارضون على صفحاتهم الشخصية بمواقع التواصل الاجتماعيّ صوراً ومقاطع فيديو تعكس مظاهر الدمار التي حلّت بأحياء المدينة، حيث يمكن رؤية العديد من المنازل التي أصبحت أثراً بعد عين، ولم يتبقّ منها سوى الأطلال، جرّاء الاشتباكات العسكرية المحتدمة مع تقدم النظام والميلشيات الموالية له في شرق حلب منذ 20 شهر تشرين الثاني/نوفمبر سنة 2016، وأعلن السيطرة عليها بالكامل في 22 من شهر كانون الأول/ديسمبر.

ولدى لقائه مع مجلة طلعنا عالحرية يروي صلاح الأشقر،

وهو صحافيّ بقي محاصراً بالقسم الشرقيّ لمدينة حلب، أنه: "في ربيع عام 2011 وعندما شاركت بالمظاهرات المناهضة للنظام الحاكم طالبنا بإسقاط سورية الأسد، حلمنا بسوريا حرة ديمقراطيّة"، أمّا اليوم وبعد مرور ستّة أعوام على هذا الكلام، يضيف صلاح: "أنا ابن حلب، ومن سوريا، أجبروني على مغادرة منزلي ووطني".

"التغريبة الحلبية"

توقّف صلاح عن الكلام وغصّ حلقه وفؤاده بكثير من الكلام. بعد لحظات، تابع حديثه وقال: "غادرت مدينتي مجبراً، وكلّ هؤلاء الناس مثلي هجروها مكرهين، إنّها التغريبة الحلبية".

ووصل صلاح في 19 شهر كانون الأول/ديسمبر من العام الماضي، إلى بلدة الأبزيمو في ريف حلب الغربي، وكان من بين الذين تم إجلاؤهم، ثم دخل تركيا في 25 من الشهر نفسه قاصداً مدينة غازي عنتاب ليكمل نقل ما عاناه أهل حلب في مواجهة الحرب والحصار للعالم كله.

وقدرت اللجنة الدولية للصليب الأحمر عدد الذين تم إجلاؤهم من القسم الشرقي لمدينة حلب بنحو 35 ألف شخص، كان من بين من شملهم 100 جريح ومريض في حالة حرجة.

وذكرت آنجي صدقي المتحدثة الرسمية للجنة الدولية للصليب الأحمر في سوريا، في حديثها مع مجلة طلعنا عالحرية تفاصيل عملية الإجلاء وقالت: "منذ يوم الخميس 15 ديسمبر حتى فجر الجمعة 16 ديسمبر، قامت فرق الهلال الأحمر العربي السوري واللجنة الدولية للصليب الأحمر بإجلاء حوالي 10000 من المدنيين من ضمنهم حوالي 100 جريح كانوا في حالة حرجة".

وفي يوم الجمعة 16 كانون الأول/ديسمبر العام الماضي، توقفت عملية الإجلاء بعد حدوث توترات على الأرض وتبادل إطلاق نار، ثم استؤنفت بعد يومين وانتهت يوم الجمعة 22 كانون الأول/ديسمبر حيث تم إجلاء نحو 35 ألف شخص، بحسب آنجي صدقي، ولفتت: "تم إجلاء المدنيين الذين رغبوا في المغادرة إلى أماكن أكثر أماناً".

تركوا لمصيرهم

وتابعت صدقي كلامها لتقول: "أما الذين رفضوا المغادرة كان لديهم خيار البقاء، وهذا من مبادئ القانون الدولي الإنساني، يجب أن يتم الإجلاء وفقاً لرغبة المدنيين والجرحى أنفسهم".

وتم تهجير آلاف الأشخاص عن طريق حافلات "خضراء حكومية" من الأحياء الشرقية في حلب، إلى مخيمات مؤقتة في ريف حلب الغربي أو مدينة إدلب وريفها، حيث أجبروا على ترك كل شيء خلفهم عند فرارهم، وتركوا لمصيرهم المجهول في مواجهة طقس شتوي شديد البرودة.

ولم يسلم الذين نزحوا من قسوة الشتاء؛ إذ فتكت العاصفة الثلجية الأخيرة التي ضربت سوريا بكثير من الخيم الرقيقة وغير المجهزة، بعد أن غطت الثلوج مساحات واسعة من تلك المخيمات التي تفتقر بالأصل لوسائل التدفئة. وما زاد الأمر سوءاً أخبار موت عدد من الأطفال وأمهاتهم نتيجة انخفاض درجات الحرارة أو استعمال وسائل تدفئة بدائية بطريقة خاطئة.

رحلة في الباص الأخضر

علي فاروق

اللقاء الأخير.. الأربعاء 12 تشرين الأول 2016.

أمضيت الشهر الأخير وحيداً، في اليوم الأول للمعركة طلبت من أخي اصطحاب عائلته، وأمي إلى دمشق، لم تستطع أمي رغم مرور خمس سنوات، اعتياد صوت الرصاص، ولا احتماله..

قضيت الأيام في ساحة قدسيا، أتابع المعركة، وأراقب الحراك الشعبي الموازي لها، وألتقي السكان، وأعضاء لجنة "المصالحة".. وبعد انتهاء المروحيات من إلقاء "براميل المساء"، أعود للمنزل لتفقد الأوضاع، وإخراج الطعام الفاسد من الثلاجة، ثم أغادر إلى منزل "أبي يوسف"، حيث يأتي الأصدقاء خلال استراحات الرباط، فنشرب الشاي، ونتبادل النكات كما اعتدنا، وكأن كل شيءٍ على ما يرام..

عادت أمي بشكلٍ مفاجئ، قبل يوم واحد فقط من مغادرتنا، وكانت تلك مصادفةً رائعةً، ومؤلمةً في ذات الوقت، حُرم العديد من الأصدقاء من التمتع بتلك المفارقة العصيبة..

مساء ذلك اليوم، عدت مبكراً لقضاء آخر الساعات معها..

في سهرتنا الأخيرة، لم نتكلم كثيراً، لم تكن لنا طاقة للكلام، أو ربما لم يعد لدينا ما نقوله..

حاولنا استغلال الوقت بتبادل النظرات، وحتى هذه لم نقوَ عليها كثيراً، لم تستطع أمي الصمود طويلاً، وكثيراً ما قطع بكاؤها صمتنا، كنا ندرك أنه ربما لن نجتمع بعد الآن، لذلك حاولنا تأمل وجوه بعضنا ما استطعنا، كانت رغبة خفية في تخزين أكبر قدرٍ من الصور والذكريات، لكننا لم نستطع الصمود، وابتلاع الألم، وبقينا صامتين..

كنا كحاضري مجالس العزاء، مجلس عزائنا نحن؛ كنا الميت، والمشيع، والمعزي. عجيبةٌ هي المواقف التي اختبرناها خلال الحرب، آلاف السوريين باتوا يستطيعون القول إنهم شاهدوا أرواحهم تتحطم وتتشظى، على مدى خمسة أعوام، ثم تنسلخ عن أجسادهم، وهم يحضرون مع أمهاتهم، وإخوانهم مجالس عزائهم!..

بكت أمي طويلاً، كان بكاؤها صامتاً، إلا حين تشهق، أو تلهج بتوسلات يائسة إلى الله، أن يحمينا، ويردنا سالمين..

لسببٍ ما، قررت ألا أقضي ليلتي الأخيرة هناك، لم أشأ وداع البيت، فضلت التظاهر أن مغادرتي مؤقتة، وطبيعية ككل يوم، رغم إحساسي أن العودة قد تغدو حلماً بعيداً.. حزمت حقيبتي بسرعة، واحتضنت أخي طويلاً، ثم غادرت إلى دار "أبي يوسف"..

الخميس 13 تشرين الأول 2016، الساعة 12 ظهراً..

بعد تفتيشٍ روتينيٍ سريع، صعدنا إلى الحافلات، وصعد خلفنا "ضابطٌ صف" من الحرس الجمهوري، لتسجيل الأسماء، وإحصاء قطع السلاح، حين وصل "المساعد" إلى مؤخرة الحافلة، سمعته يقول لشابٍ مكفهرٍ: "لا تأكلوا هم.. بكرة بترجعوا"، فرد الشاب: "ما رح نرجع لتنتهي الثورة"، فقال المساعد: "بكرة بتنتهي الثورة، وبترجعوا إن شاء الله"..

لم أعرف في الحقيقة ما الذي قصده المساعد، ولم أرغب بالاستفسار، كنت متعباً جداً، وكان التحسب للاحتمالات القادمة يستغرقني، وللأمانة فقد كان ذلك المساعد لطيفاً، فلم أشأ إحراجه، وبالعموم كان تعامل الضباط، والعناصر المرافقين جيداً، ولم يتعرض أحدٌ منهم لنا بكلمة، حتى أن القائد "أبا أحمد" لم يسمح لهم بتفتيش أعضاء مجموعته، ورفض صعودهم إلى حافلته، لتسجيل الأسماء..

دام الانتظار ست ساعاتٍ كاملة، بدت كست سنوات طويلة.. تيبست أرجلنا، وأطرافنا على المقاعد، كان إحساسنا بالضيق والترقب هائلاً، وكان الجو حاراً، أغرقت قطرات العرق جباهنا وأجسادنا، فيما اختلطت صرخات الأطفال، وتنهدات الرجال والنسوة، فأضافت للموقف شحنات مضاعفة من الحزن والخوف والقلق..

الخميس 13 تشرين الأول 2016، الساعة 6 مساءً..

انطلق الموكب المؤلف من 300 حافلة، يتقدم كل حافلة سيارة ضباط، فيما يرافقها من الخلف سيارة جنود مزودة برشاش، أما سيارات الإسعاف والهلال الأحمر، فقد انطلقت في المقدمة..

على الطريق بين دمشق وحمص، كانت معالم القصف، وآثار المعارك لا تزال شاهدةً على الطريقة التي استطاعت بها المليشيات الأجنبية، والجيوش الغازية، احتلال الريف الدمشقي "المحرر"، والذي استعصى لسنوات على النظام.

توقفت الحافلات لدقائق معدودة، مرةً واحدةً فقط قبل مدينة حمص، حيث سُمح بالنزول لقضاء الحاجة في العراء. بعدها توجهت القافلة نحو طرطوس، فبانياس، مروراً بـ"بيت ياشوط" في جبلة، ومن هناك نزولاً باتجاه ريف حماة، كان من حسن حظنا اجتياز تلك المناطق ليلاً، حيث لم نصادف إلا أعداداً قليلة من الناس، الذين لم يبخلوا بإظهار مشاعر التشفّي والشماتة، وهم يرفعون أصابعهم "الوسطى"، ويلوحون بفخرٍ بأعلام "حزب الله" وروسيا، فيما تنتصب خلفهم لوحات كبيرة عليها أعلام وشعارات مختلف المليشيات الأجنبية، وصور "حسن نصر الله"، و"فلاديمير بوتين".. ويمكن القول إن ذاك الموقف كان أقسى وأصعب ما واجهنا في تلك الرحلة الحزينة..

الجمعة 14 تشرين الأول 2016، 6 صباحاً..

بعد تجاوز "السقيلبية"، توقفت سيارات الضباط والجنود، فيما تابعت سيارات الهلال الأحمر نحو "قلعة المضيق". عند مدخل البلدة ارتفعت أعلام "حركة أحرار الشام الإسلامية"، وكان ذاك أول مشهدٍ من الأراضي المحررة..

تجمع مقاتلون، وفتية ترتسم على وجوههم أمارات الطيبة والكرم، للترحيب بنا، كانوا يبتسمون وهم يرفعون أصابعهم بإشارات النصر، ولا شك أنهم من جعل مشاعر الفرح، والاطمئنان تتسلل إلى نفوسنا. لكن المشاهد اللاحقة سرعان ما أحلت اليأس والإحباط مكانها، ولا سيما مشاهد الفوضى، وغياب التحضير، وخصوصاً عند مقارنتها بالتنظيم والتنسيق العالي، الذي رأيناه من النظام خلال عبورنا "أراضيه".

الجمعة 14 تشرين الأول، الساعة 12 ظهراً..

وصلت مع أصدقائي إلى مدرسة "الإحسان"، وهو مركز إيواء للنازحين وسط مدينة إدلب، انصرفت وسائل الإعلام والمراسلون والنشطاء كما أتوا سريعاً، وتركونا نواجه مصيرنا المجهول، في ذلك المكان المكتظ والمهمل؛ حيث يكاد ينعدم وجود أدنى المقومات الأساسية للإقامة والحياة، فيما بدأ الطيران الحربي فوقنا جولاته "الترحيبية"، فأسرع الجميع للبحث عن أي مكان قد يبدو مناسباً "للاختباء"..

كان الوضع مزرياً وبائساً، وكنا مرهقين جداً وجائعين، وكنا بالكاد نستطيع الوقوف على أقدامنا، وكنا بحاجةٍ ماسة للاستحمام والنوم..

لم أستطع الانتظار مدةً أطول، حزمت أمري سريعاً، وودعت أصدقائي وأخبرتهم أني سأتجه إلى سراقب، حيث تقيم عائلة صديقي في السجن "أبو حسين"، لأبدأ أولى يوميات "نكبتي" هناك..

(3)

جلال مراد

النشاط الإنساني الفاعل:

الواضح في الحالة السورية أن المجتمع غير قابل للنكوص إلى الدولة الشمولية، التحول تمّ، وهو غير عكوس. لكن المرحلة القادمة تحتمل أن يتحول ثوار الأمس إلى دكتاتوريي اليوم، ليس على مستوى المجتمع بشكل عام، لكن على مستوى الكتل ما دون الوطنية (الأسرة، المنطقة، العائلة العشيرة وغيرها). هذه المرحلة الوسيطة تتكون عندما تبدأ قوتا الجذب للهوية المركزية السورية من جهة، وقوة الانفجار الأول الذي أحدثته الانتفاضة من جهة ثانية بالتعادل. في هذه المرحلة يتحلق الناس حول هويات ما دون الوطنية، يُنكّس العلم الوطني، وتُرفع أعلام الطائفة والعشيرة والعائلة والإثنية. لأنه لا يمكن بحال من الأحوال وتحت أي ظرف أن توجد جماعة بشرية بلا حدّ أدنى من التنظيم، أي بدون هوية، فالجماعة البشرية دون هوية تتحلل وتتحول إلى مجموعة من البشر لا ينظمهم ناظم ولا يوحدهم ناموس.

إن هذه المرحلة (تعادل القوتين) مؤقتة، فما إن تبدأ قوة الجذب للهوية العامة تأخذ قيمة أعلى من قيمة القوة الانفجارية حتى تبدأ الحركة العكسية، فمع كل اقتراب من الهوية المركزية السورية يوازيه تخلٍ عن الهويات الجزئية المادون- وطنية، ورصدنا شكلين محتملين للتشكل النهائي تبعاً للانتماء وقوة الهويات الجزئية مقارنة بقوة الهوية السورية المركزية.

تبقى القوى داخل كل هوية جزئية غير متأثرة كثيراً بقوتي الجذب الآنفتي الذكر، والأمر يشبه القوى داخل قطار يتحرك، فرفع الكأس أو المشي أو غيره من أفعال القوى لا تتأثر بحركة القطار. في هذا الحيز بالذات تكمن أهمية النشاط الإنساني الفاعل. بمعنى أوضح كل مجموعة بشرية متحلّقة حول هوية جزئية مادون- وطنية يمكنها أن تقوم بتحويل هذا التجمع من تجمع غير منظم، عبثي، تجمعه الغريزة القطيعية حول أشخاص ومبادئ عنصرية (عنصرية الهوية الجزئية) إلى بنية؛ أي مجموعة من الناس ينظمهم شكل فكري وعلاقات متوافقة مع متطلبات العيش والنماء.

التجلي العملي لهذه البنية هي أن يصبح هناك تابوات (تشريعات) تنظم العلاقات في المجتمع وخدماته، كالتعليم والصحة والشرطة والقضاء والكهرباء والصرف الصحي، والتمثيل التشريعي، وغيرها من المتطلبات الخدماتية.

في هذه الحيزات مادون- الوطنية تبدأ الثيمات الأساسية للدولة بالبزوغ (بكون الدولة هي روح الشعب، وقد تجلى في كيان غير مادي، معنوي، ومارس سلطته على الناس، الذين سيتحولون إلى شعب مع تقدم اكتمال الدولة).

وكما ذكرنا أن هذه المرحلة يدخل بها النشاط الإنساني كقوة أساسية في تسريع هذه العملية وإكساء التشريعات والأطر الناظمة لكل هذه النشاطات بطابع حضاري سليم متسق متوافق مع احتياجات الناس، في إطار الهويات الجزئية (مادون- وطنية).

حروب أهلية أم سلم اجتماعي:

وضحنا أن العلم الوطني ينسحب في إطار تقدم الأعلام الجزئية، في الحركة العكسية باتجاه المركز الوطني- الهوية الوطنية. تضطر الهويات الجزئية للتعرف على بعضها البعض. والأمر أن هذا امتحان لكل هوية جزئية؛ امتحان لقبولها الآخر وتقبله، وكم تحتوي من العنصرية ووهم التفوق. هنا يمكن أيضاً للنشاط الإنساني العمل (يقظة الوطنيين والمثقفين السياسيين لهذه اللحظة التي من شأنها تخفيف حدة الصراع أو الحرب الأهلية بالتوازي مع تأسيسها لنظم عامة تضبط الاندفاعات العنصرية من الهويات الجزئية).

إن لحظة الجذب باتجاه الهوية المركزية الوطنية ستؤدي بالضرورة لاصطدام الهويات الجزئية ببعضها البعض، وستجد نفسها مضطرة لفهم بعضها إن تحلّت بالروح السلمية، أو لمقاتلة بعضها إن تمسكت بالجانب العنصري من الهوية الجزئية. الأمر قد يأخذ شهوراً، وقد يمتد سنوات طويلة. والأمر كما أسلفنا له علاقة بالنشاط الإنساني الواعي والفاعل في الحد من الجانب العنصري في الهويات الجزئية.

مجالين للنشاط الإنساني الفاعل:

عبر استعراض ما تم، ويتم، والتوقع لما سوف يحصل بناءً على المسار العام ودراسة القوى الدافعة، وجدنا أن هناك حقلين يمكن للنشاط الإنساني الفاعل أن يقوم بدور مقرر ومهم في وضع سوريا المستقبلي.

النشاط الأول:

وهو النشاط في داخل الهوية الجزئية. يتجه نحو تنظيم الحياة المدنية، والمرافق العامة والتعليم والصحة والقضاء وغيرها من الشؤون. هذا الجهد لكي يكون مكتملا ومستداما وثابتا من المناسب أن يتم استعمال مؤسسات الدولة لهذه الغاية بالترافق مع النشاط الأهلي الفاعل.

وخير طريقة لتحقيق ذلك هي القيام بعزل البلديات عن السلطات المستبدة، وإيلاء اهتمام دقيق بتشكيل مجلس بلدة يعبر عن الأهالي بشكل صادق ونزيه، ومنتم للأهالي انتماءً مطلقاً. القوامة على البلدية ستقود لقوامة على الشرطة والقضاء والتعليم، وكل مؤسسات الدولة المعنية. يجب أن تترافق هذه العملية مع تفعيل نظام ضريبي مدروس لإمداد البلدية بالأموال اللازمة للإنفاق. مال نظيف وطني.

من الخطوات الأساسية التي يجب على البلدية العمل عليها هي حل مشكلة المسلحين من كتائب وفصائل وغيرها. يتم الأمر عبر توظيف هذه العناصر عبر البلدية، وتقنين استخدامهم للأسلحة، وتحويل ولائهم للأهالي عبر المجلس البلدي بوساطة الرواتب الممنوحة لهم. بعد احتواء المسلحين يمكن تحويلهم لأعمال منتجة مختلفة كما يمكن مقايضة الأسلحة تباعاً إن وضعت الحرب أوزارها بمعدات زراعية وغيرها من الأدوات الإنتاجية.

النشاط الإنساني الثاني:

وهو النشاط الذي يحد من اصطدام الهويات الجزئية، أو وقوع نزاع مسلح بين تلك الهويات. سيحمل المثقفين أغلب هذا العبء سواء أكانوا متدينين، أو غير متدينين، قوميين، أو شيوعيين، أو غير ذلك.

النشاط يأخذ جانبين اثنين أساسيين:

الجانب الأول:

نشاط توعوي، هدفه الحد من الجانب العنصري في الهوية الجزئية (سواء كانت طائفية أو عرقية أو مناطقية وغيرها). وهذا النشاط يستخدم الجوانب التي تحقق هذا الغرض من أدبيات الهوية الجزئية؛ كتاريخها ومصالحها ومستقبلها.

الجانب الثاني:

نشاط تنسيقي وتعريفي وتشريعي، يتم من خلال الناشطين في الهويات المتجاورة جغرافياً عبر العقود، والاتفاقيات التنظيمية، وغيرها من النشاطات الضامنة لعدم تسرب الجوانب العنصرية في كل هوية باتجاه الهويات القريبة جغرافياً (هذا التسرب الذي يعني حرفياً الحرب). ويمكن للنشطاء التقليديين المشاركة مع المثقفين في هذا النشاط من رجال دين وزعامات محلية وغيرهم.

مشروع الأمل لتشغيل المهجرين من أهالي داريا بالشمال السوري

محمد هشام

لعله لم يكن من ضمن قائمة آمال وخطط أهالي داريا المدنيين المنفيين إلى إدلب في 24 آب/ أغسطس 2016 الجلوس في بيوتهم وانتظار أرزاقهم من حصص المنظمات الإغاثية شهرياً، وإنما كان أمل استرجاع حياتهم التي مارسوها آخر مرة قبل الحرب والحصار، وطلبُ أرزاقهم عبر إعادة ممارسة حرفهم التي كانوا يزاولونها في أرضهم بحسب ما أفصحوا وعبروا عنه، وهذا ما دفعهم للمسارعة للبحث عن فرص عمل يتخلّصون عبرها من حالة الركود والفراغ الاجتماعي والنفسي التي بدؤوا يشعرون بها بعد شهرهم الثاني من الإقامة في إدلب.

"خلال سنوات الحصار الخمس، كنتُ أزاول بكثافة تصليح (طرنبات) سيارات الثوار في المدينة، لأني الخبير الوحيد الذي تبقى في المدينة" هكذا يقول "عمر العبار" أحد ثوار داريا المهجَّرين إلى الشمال والمقيمين بجرجناز، ويردف: "عندما خرجت للشمال لم أكن أتوقع أني سأتمكن من إعادة مزاولة حرفتي ثانية إلا عاملاً في الورشات، نظراً لتكلفة إنشائها الباهظة".

عمر هو أحد المستفيدين من "مشروع الأمل التنموي" والذي يُعدّ بادرة هي الأولى من نوعها في الشمال السوري، قدمته كل من جمعيتي "إنسان بناء للإغاثة والتنمية" و "أم القرى للإغاثة والتنمية" في بلدة جرجناز، ويهدف إلى تشغيل الحرفيين من عوائل داريا المقيمين بالبلدة، والبالغ عددها 76 عائلة بحسب إحصائيات مكتب داريا.

عبر مشروع الأمل تمكّن عمر الذي يعيل عائلة أخيه الشهيد بالإضافة إلى عائلته وأخوته من فتح مشروع خاص به، دون أن يضطر للالتزام كعامل بالورشات التي تقع في بلدات أخرى بعيدة عشرات الكيلومترات عن مكان سكنه الحالي.

دواعي المشروع:

محمد ديرانية مدير المشاريع في "إنسان بناء" والمدير التنفيذي لمشروع الأمل، تحدث لطلعنا عالحرية وقال: "إن إنسان بناء تنظر للسلّة الغذائية على أنها مسكن شهري للألم فقط، لا يسهم بتقديم أي نوع من الحلول الجذرية لحالة الحاجة المتفشية". وتابع: "إن أي مجتمع تعاني فيه شريحة الشباب والرجال من البطالة سيعاني من خللٍ بالنظام العام، وكلما اتسعت رقعة البطالة كلما زادَ هذا الخلل، ولذا كان مشروع الأمل الذي يهدف لتحويل الفرد من شخص مستهلك اتكالي إلى شخصية مبادرة ومنتجة وبناءة".

تفاصيل العمل بمشروع الأمل:

تتولى الجهات المنفذة تزويد المشروع بالتجهيزات والمعدات اللازمة، بحسب ديرانية، حيث تم شراء العدد والتجهيزات لأكثر من سبع حرف حتى تاريخ 28 كانون الأول/ ديسمبر 2016 مع دفع رسوم تشغيلية وأجرة محل لمدة ثلاثة أشهر، بغرض "مساعدة الحرفي على الانطلاق ريثما يتمكن المشروع من تغذية نفسه بنفسه". على أن تقتطع الجهات المنفذة نسبة ضئيلة من الأرباح، "للإسهام بتمويل مشاريع تشغيلية أخرى لآخرين" بحسب ديرانية الذي وصفها: بأنها "ستكون حافزاً له على العمل، إضافةً إلى غرس عقيدة المبادرة و العطاء في نفس الحرفي".

"جمال البسرك" يعمل في الحلاقة وأحد الحرفيين المستفيدين، تحدث عن دخوله بالشهر الثاني من تجربة الاستفادة من المشروع: "استلمتُ معدات الحلاقة كاملة مع أجرة محل لمدة ثلاثة أشهر، وأقوم بإرسال صور قسائم المشتريات أسبوعياً للمدير الميداني عبر الواتس أب، لتسهيل اقتطاع و احتساب النسبة آخر كل شهر".

"ليس سهلاً أن تخرج من أرضك، وتزداد صعوبة المعيشة إذا كنت عاطلاً عن العمل وعندك أسرة" كلمات "أبو تيسير" أحد المستفيدين من مشروع الحرف، وصاحب حرفة المطعم الذي بلغت تكلفته قرابة 2600$ ويستفيد كذلك للشهر الثاني من مشروع الأمل، أوضح لطلعنا عالحرية عن كيفية بدء المشروع: "وصلنا عبر "مكتب

داريا" الكائن بجرجناز دعوة لحضور اجتماع مع منظمتي أم القرى وإنسان بناء، وخلال الاجتماع تمّ إبلاغنا بالمشروع وبتفاصيله، وبتقديم طلبات انتساب لكل من يرغب بالعمل والاستفادة".. وبحسب أبو تيسير: "المشاريع التشغيلية إضافةً لأهميتها المادية، فهي تعيدنا بالذكرى إلى أرضنا التي أُخرجنا منها، وتُسهم بإعادتنا إلى الحياة المدنية التي حُرمنا منها طوال خمس سنوات".

تكلفة المشروع الواحد:

لا يوجد سقفٌ محدد لكلفة المشروع، وإنما "تُراعى نسبة الأفراد الذي يرعاهم المشروع بالقياس إلى تكاليفه" بحسب ديرانية، وفي بنود العقد، يتعهد المستفيد بالحفاظ على المعدات والتجهيزات سليمةً من الأذى الذي يمكن أن ينشأ عن الإهمال أو سوء الاستعمال، ولا يشمل التعهد الأذى الناتج عن الظروف القاهرة.

وتتولى جمعية أم القرى للإغاثة والتنمية المحلية سائر المهام اللوجستية المحلية، مثل تأمين المحلات بأسعار مناسبة، وتيسير التنفيذ بالتنسيق مع المجلس المحلي والمؤسسات المحلية، بالإضافة إلى الإشراف العام على تنفيذ المشروع وتقديم المشورة والنصائح والمساعدات المباشرة، إلى جوار دورها الجوهري كخلفية أمنية للمشروع، والذي تستمدّه من كونها جهة محلية، تضمنُ تنفيذ بنود العقود، والمحاسبة في حال تمت المخالفة، بالتنسيق مع المؤسسات المحلية المعنية.

وعن سبب دعم "أم القرى" للمشاريع التنموية

البقية في الصفحة 9....

ماذا جري ويجري في حلب؟

المحامي أنور البني

ما جرى ويجري في حلب هو جريمة موصوفة؛ هي جريمة التهجير القسري، وتعريفاً هو: "ممارسة تنفذها حكومات أو قوى شبه عسكرية أو مجموعات متعصبة تجاه مجموعات عرقية أو دينية أو مذهبية، بهدف إخلاء أراضٍ معينة وإحلال مجاميع سكانية أخرى بدلاً عنها. ويندرج ضمن جرائم الحرب وجرائم الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية" وفق قاموس القانون الدولي والقانون الدولي الإنساني.

ويعرّف القانون الدولي الإنساني التهجير القسري بأنه: "الإخلاء القسري وغير القانوني لمجموعة من الأفراد والسكان من الأرض التي يقيمون عليها" وهو ممارسة مرتبطة بالتطهير وإجراء تقوم به الحكومات أو المجموعات المتعصبة تجاه مجموعة عرقية أو دينية معينة، وأحياناً ضد مجموعات عديدة بهدف إخلاء أراضٍ معينة لنخبة بديلة أو فئة معينة"، وتعتبر المواد (6)، (7)، (8) من نظام روما الأساسي، التهجير القسري جريمة حرب.

وهذا ما ينطبق عليه وصف ما يجري في حلب تماما، حيث قامت الميليشيات المتحالفة معها بحصار حلب لأشهر عديدة ومنعت الطعام والدواء، وأكملت طائراتهم وطائرات المجرم بوتين بتدمير البنية التحتية كاملة من مخابز ومستودعات طعام ومستشفيات ومدارس، وقتلت الآلاف من المدنيين معظمهم من الأطفال والنساء في بيوتهم، ووضعت الجميع أمام خيار الهجرة عن مساكنهم وبيوتهم. ثم حاولت تحت ستار حفظ الأرواح فتح ممرات ليسلكها السكان في مغادرتهم وسلطت ميليشيات الأسد وحلفائه ليصطادوهم خلال هذه الممرات، في جريمة قتل مكشوفة وأمام كل العالم الذي كان يراقب اكتمال كل أركان الجريمة دون أن يحرك ساكناً، وعندما قرر التحرك واجتمع مجلس الأمن ليناقش الوضع في حلب أصدر قراره رقم 2328 الذي نصّ على رصد محايد والمراقبة المباشرة على عمليات الإجلاء من شرق أحياء حلب ومناطق أخرى من المدينة، وتقديم تقرير حسب الاقتضاء في هذا الشأن، لضمان نشر المزيد من الموظفين لهذه الأغراض حسب الحاجة. أي أن المجتمع الدولي قرر المشاركة بفاعلية في هذه الجريمة ومراقبة تنفيذها عن كثب وتقديم الحماية والغطاء القانوني لها، ولم يفكر أي أحد ممن صوّت على القرار بالإشارة إلى الجريمة أو مرتكبيها أو محاولة وقفهم عن ذلك على الأقل، إن لم نقل معاقبتهم على هذه الجريمة الواضحة بكل المعايير القانونية والأخلاقية.

بذلك أصبحت كل دول العالم مشاركة في جريمة التهجير القسري التي تجري في سوريا، الدول التي تقوم وتشارك في هذه الجريمة مباشرة عبر وجود قواها العسكرية على الأرض كإيران وروسيا، والدول التي تنتمي للتحالف الدولي كأوروبا وأمريكا وغيرهما والدول التي لديها قوى عسكرية على الأرض، وتبرم الاتفاقيات لتسهيل التهجير ونقل السكان كتركيا، والدول التي صوتت على قرار مجلس الأمن والمنظمات الدولية التي ترعى الاتفاقات وتقدم التسهيلات اللوجستية والدعم لنقل السكان، كهيئات الأمم المتحدة ومنظماتها. بل إن هذه المنظمات هي أول من بشر بهذه الجريمة عن طريق مجرمها ستيفان ديمستورا وهو يبشر ويدعو لتنفيذها في مختلف المناطق السورية بحيث ينجح المجرم الأساسي زعيم الميليشيا الكبرى أن ينفذ جريمته ويطهر الأرض التي يستولي عليها بالعنف الوحشي.

ما جرى ويجري في سوريا هو سقوط كامل لكل النظم الإنسانية، وانهيار مدو للهياكل التي عمل العالم طويلاً على إقامتها لتحمي الإنسان وتعطي معنى قانونياً للإنسانية.

ما يحصل في حلب هو جريمة مكتملة الأركان لتهجير قسري للسكان المدنيين فيها، الفاعلون فيها معروفون علناً، ويعلنون بكل صفاقة ووقاحة عن جريمتهم، ويصرحون علناً عن أهدافهم بتهجير كل السكان. والمشاركون بهذه الجريمة يقدمون كل ما يمكنهم لتنفيذ هذه الجريمة تحت عنوان إنساني هو حفظ الأرواح؛ فيقومون بالضغط على السكان الأصليين وتقديم كل ما يمكنهم لجعل هذه الجريمة ميسرة وقابلة للتنفيذ، ويقدمون الاقتراحات للأماكن التي سيتم التهجير إليها، ويسهلون الممرات التي سيتمّ التهجير خلالها، ويقومون بما يلزم لتأمين الغطاء لهذه الجريمة وضمان السكوت عنها. والجميع متورط تماماً بهذه الجريمة مثله مثل المجرم، ولا يمكن تغطية هذا الإجرام الدولي تحت أي ستار إنساني كحفظ الأرواح، أو غطاء قانوني كقرار يصدر عن مجلس الأمن.

الأصل أن يكون العمل على محاكمة المجرم، أو على الأقل وقف إجرامه ومنعه من ارتكاب مزيد من الجرائم، لا مساعدته على الإفلات من العقاب وتسهيل ارتكابه مزيداً من الجرائم!

وإذا كان قانون محكمة الجنايات الدولية لا يطال بعض المجرمين الآن، فإنه يطال المجرمين الآخرين الذين صوتوا على القرار المذكور وشاركوا في الجريمة، ويجب أن نسعى بكل ما يمكننا لمحاسبتهم ومعاقبتهم، فالعدالة لن تنسى.

المعادلة الصعبة في حقوق الإنسان، والثمن الباهظ في سورية

المحامي منعم هيلانة

أصبح مجرد التفكير والبحث في الحقوق الأساسية للإنسان في سورية اليوم، ونحن في بداية القرن الحادي والعشرين، حالة تستدعي من صاحبها الكثير من القلق والرهبة والخوف لما يمكن أن يترتب من إحباط ويأس إن لم يكن من استهزاء من قبل الغير. وذلك في الوقت الذي يجب فيه أن يكون موضوع البحث في حقوق الإنسان عبارة عن كلمات سهلة بسيطة واضحة غير معقدة، تستطيع الوصول ببساطتها إلى الشريحة الأكبر في المجتمع، وتتمكن من فهمها لكي تعمل بها وتعتبرها من حقوقها الأساسية التي يجب الدفاع عنها.

لذلك نجد الكثيرين من أصحاب الأقلام الحرة المؤمنة بتلك الحقوق أصبحوا يفضلون الابتعاد عن الكتابة في هذا الشأن لما فيه من خوض بموضوع أصبح مستهجناً ودون جدوى، في ظل تجاهل العالم المتحضر لقيم حقوق الإنسان، بل الدهس عليها في معرض المحافظة على نفوذه ومصالحه الاقتصادية والسياسية.

لذلك يحقّ للإنسان السوري أو غيره أن يسأل: لماذا كُتبت هذه الحقوق بالحريات في دساتير كل البلدان، المتقدمة منها والمتخلفة، وبالمعاهدات والاتفاقيات الدولية؟

من حق الإنسان أن يسأل: هل الهدف هو فقط الكتابة ووضع الحبر على الورق، أم الهدف هو حقيقة حرية الإنسان وكرامته بالعيش والعلم والعمل؟ ومن هو المسؤول الذي يكفل هذه الحقوق في عالم اليوم؟

أو يسأل: هل الهدف هو الاستعراض والإعلان، أم الهدف هو المضمون والتطبيق، وبأن يشعر المواطن حقيقة بحريته، وبأن وجوده ضروري لبقاء البشرية وارتقائها اليوم؟

أسئلة كثيرة مشروعة وحقيقية يطرحها المواطن السوري. يحق للإنسان العادي البسيط وليس المتعلم والمثقف فقط أن يسأل: عن أي حقوق للإنسان تكتب البشرية وهيئاتها ومنظماتها؟ عن أي حقوق تدافع الأمم المتحدة ومجلس الأمن ومحكمة الجنايات الدولية ومنظمات حقوق الإنسان؟

من حقّه أن يسأل: ألا يشاهد العالم اليوم ويعرف ماذا يجري في سورية من قتل ممنهج لشعب رفع شعار الحرية والكرامة؟ من حقه أن يسأل بعد أن تفرد النظام السوري ومنذ أكثر من خمس سنوات بقتل وتدمير وبتهجير شعب أراد الحرية.

من حق المواطن أن يسأل: ألا يعرف العالم بأن أكثر من عشرة ملايين إنسان كان قد تم تهجيرهم بسبب القصف اليومي بالطيران والبراميل المتفجرة على بيوتهم؟ ألا يشاهد العالم عبر أقماره الصناعية بأن ملايين المنازل دمرها النظام في سورية؟ ويسأل مواطن: هل نحن فقط من نعرف الحروب وغيرنا لا يعرف معناها لكي يقف العالم اليوم صامتاً على أبشع جريمة تقع تحت أنظاره ومعرفته؟

ويسأل إنسان آخر بسيط: ألا يكفي عشرة أطنان من الوثائق والصور والدلائل والشواهد اليومية الحقيقية والطبيعية والتي هي أمام محكمة الجنايات الدولية وكافة المنظمات والهيئات الحقوقية للتدخل من أجل وقف القتل اليومي لأطفال لا ذنب لهم ولا حول ولا قوة؟!

واليوم الجميع يعرف عن موت المعتقلين أو بالأحرى قتل المعتقلين في سجون النظام، وفضيحة التجارة بالأعضاء البشرية، والتي أصبحت معروفة للقاصي والداني، والتي يمارسها النظام بحق المعتقلين والمفقودين.

يسأل هذا الإنسان الذي لم تبقَ له وسيلة للعيش.. نعم! فقط للعيش، وحتى دون أن تكون له كرامة مثل باقي البشر، يسأل عن الثمن الذي يجب أن يدفعه في مقابل أن يتدخل هذا العالم اليوم لوقف القتل، لكي لا تبقى المجزرة السورية وصمة عار على جبين هذا العالم.

نعم يسمع هذا الإنسان بشيء اسمه الضمير، ويسأل أين هو؟

يسمع هذا الإنسان عن شيء اسمه الأخلاق، ويسأل أين هو؟

يسمع عم مبادئ واتفاقيات حقوق الإنسان، ويسأل أين هي؟

يسمع عن العالم المتمدن المتحضر الذي يتبنى هذه المبادئ، ويسأل أين هو؟

أخيراً ما هو هذا الشيء الذي نتوقعه من إنسان فقد بيته وأسرته وأولاده ورزقه؟

نسأل ماذا بقي له ليكون إنساناً وليس كائناً آخر؟!

... تتمة من الصفحة 7

يقول "حسين الدغيم، أبو عمارة" مسؤول منظمة أم القرى: "السلة الإغاثية آنية، بينما الحرفة مستمرة" ويضيف: "إن صاحب العمل يستطيع من خلال حرفته كفاية نفسه وعائلته وربما أكثر من عائلة، وترك الاعتماد على الغير، علاوةً على ما في السلة الغذائية من غرس تدريجي للاتكالية في نفوس أرباب الأسر والأطفال".

ولدى سؤاله عن رؤيته لمستقبل العمل الإغاثي بالشمال، فقد فضل "أبو عمارة" أن يكون "أقرب للواقعية" بحسب وصفه، وقال: إن "النمط الإغاثي المعمول به حالياً من غالبية المؤسسات الإغاثية يعتمد أسلوب تسكين الألم، ولا يقدم حلولاً جذرية، ومن الأفضل لهذه المؤسسات أن تدرس إقامة مشاريع تنموية لها، لما لها من إيجابيات على المدى القريب والبعيد".

"إنسان بناء" لم تكن بعيدةً عن "أم القرى" في رؤيتها، وبحسب ديرانية: "إنسان بناء ستسعى بعد إنهاء تجربتها الأولى، وبالتعاون مع مُنظمات صديقة، إلى خلق واقع إغاثي جديد، تكون فيه المشاريع التنموية هي القاعدة، والسلات الغذائية هي الاستثناء".

بعد الصدمة الأولى، كيف يمكن أن نستجيب لمأساة أطفال حلب؟

علاء ظاظا*

لا شكّ أن خبر التهجير القسري لسكان حلب الشرقية قد لقي اهتماماً غير مسبوق، في ظل حالة من الاعتياد على الجرائم اليوميّة ضدّ الإنسانيّة. وتزامنت الاستجابة الإعلامية مع جهود للنشطاء في كل مكان للمناصرة والضغط وتخفيف معاناة المدنيين الذين تم تهجيرهم قسرياً.

إلا أن الأخبار -كما همم المتابعين لها- تخفّ مع الوقت وتعود لحالة الروتين أو التركيز على ما هو جديد. لكن حاجة الناس الفعلية للدعم والاستجابة تبدأ عملياً بعد استقرارهم في أماكنهم الجديدة.

يمكن تشبيه حالة النزوح القسري بوفاة شخص مقرب. في البداية يغطي هول الصدمة (التركيز الإعلامي) ومراسم العزاء (الاستجابة الأولية) على الاحتياجات الحقيقية التي ما تلبث أن تظهر في الأسابيع الأولى بعد الصدمة.

نحن هنا نتحدث عن 26070 شخص هجروا قسرياً (الأرقام بحسب مجموعة تنسيق الحماية التابعة للأوتشا) بعد تعرضهم لشتى أنواع القصف الذي وصل لدرجات غير مسبوقة في الأسابيع التي سبقت التهجير. بالإضافة إلى الحصار والمعاناة اليومية ومشاهدة الجثث ملقاة في الشوارع وتلقي أنباء التصفيات الجماعية وغير ذلك من الأهوال التي رفعت مستوى الصدمة لأعلى درجة.

ومن بين هؤلاء آلاف الأطفال الذين لا بدّ من العمل على استجابة بشأنهم لمدة سنة على الأقل، لضمان تكيفهم وتقوية مرونتهم لتقبل ما حدث ومتابعة حياتهم.

ولتكوين تصور عن حجم المأساة وأهمية الاستجابة طويلة الأمد سنتحدث عن عينة من الأطفال الذين تم استقبالهم في مراكز للتقييم قبل توزيعهم على مساكنهم وأماكن اللجوء المؤقتة في ريف حلب وريف إدلب.

استقبلت مراكز التقييم جزءاً من الأطفال الذين نزحوا وعددهم 4581 ومن ضمنهم:

69 طفلاً لديهم سوء تغذية، 5 منهم بحالة خطرة.

14 طفلاً منفصلين عن أسرهم؛ أي لا يُعرف مصير أسرهم بعد.

47 مفقودين، وقدم القائمون على رعايتهم/ أسرهم طلبات بالبحث عنهم.

252 طفلاً رضيعاً تحت 6 أشهر.

435 إصابات طبية تضمنت إسهالات، إصابات تنفسية، سكري وجروحاً ناتجة عن القصف.

بالإضافة إلى الإصابات النفسية التي لم تُحدد، ويمكن تقدير الحالات الشديدة التي تتطلب تدخلاً تخصصياً بـ 400-250 طفل.

وكما هو معلوم، فإن هذه الأرقام هي عينة فقط، لأن الأرقام الحقيقة قد تصل لضعف هذا الرقم إذا ما شملنا من نزح بسيارته الخاصة أو اختار عدم العبور والتسجيل في نقاط التقييم.

ولا ننسى أن محافظة إدلب ومناطق ريف حلب تعاني أصلاً من القصف ونقص الموارد واستمرار تدفق المهجرين قسرياً من مختلف الأماكن.

ففي مجال التعليم مثلاً، انخفضت نسبة حضور الطلاب لتصل إلى 40%-30 فقط نتيجة القصف المنهج على المدارس، وانخفاض جهوزية المدارس في فصل الشتاء. والآن سيضاف بحسب تقديرات مديرية التربية 10000 طفل جديد بحاجة لتعليم جيد وملائم.

التعليم كاستجابة حماية

قد تتساءل بعد قراءتك لهذه المعلومات عن ما يمكن فعله، وهنا ننصح بالتركيز على توفير التعليم للوافدين الجدد كاستجابة للمأساة التي حصلت. فالتعليم يعيد للطفل الروتين والاستقرار و يوفر الغرض والمعنى، والتعلم والنجاح في المدرسة يحفز هؤلاء الطلاب ويقدم لهم هدفاً واضحاً، ليس فقط على المستوى الفردي ولكن أيضاً من حيث رفاهية أسرهم وأهداف أوسع لتحسين المجتمع.

وتقدم المدرسة فرصاً للدعم النفسي الاجتماعي من خلال تلقى المعلومات، وتقدير الذات، وتأسيس علاقات اجتماعية، ولعب أدوار تساهم في استعادة الاستمرارية لحياة الطفل وإعادة توازنه.

ولا ننسى أنه في الغالب يتم ربط الخدمات الداعمة من تغذية وتوفير مساعدات للشتاء واللقاحات والكشف الطبي من خلال المدارس. فتوفر المدرسة مساحة آمنة ونقطة التقاء للتعرف على من هم بحاجة وربطهم بمقدمي الخدمات.

يمكنك اليوم أن تساهم في الحدّ من معاناة طفل وأسرته بدعم زيادة فرص الحصول على التعليم أو توفير سبل الحماية والمعيشة الجيدة في المدارس القائمة. ولكن يجب أن تخصص ليس فقط الدعم المالي وإنما جزءاً من وقتك لتكون شريكاً فاعلاً في الاستجابة من خلال تواصلك المستمر مع مقدمي الرعاية.

10000 طفل بانتظار أن يتلقوا التعليم وهذه قائمة بشركاء محتملين لك في إنقاذ حياتهم:

هل تستطيع روسيا فرض رؤيتها للحل في سوريا؟!

المحامي ميشال شماس

تسعى روسيا الاتحادية إلى استثمار انتصارها في حلب، وتستعجل فرض حلٍ سياسي في سوريا وفق منظورها، مستغلة انشغال الولايات المتحدة الأمريكية بترتيبات تولي ترامب رئاسة الإدارة الأمريكية، وبعيداً عن دور عربي، والغياب العربي لم يكن أمراً مفاجئاً، على اعتبار أن الدور العربي كان ومازال غائباً تماماً عن كل ما له علاقة بالعرب والمنطقة العربية، بدءاً من اتفاقية سايكس- بيكو التي قسّمت المنطقة العربية وفقاً لرغبات فرنسا وبريطانيا، وما تلاها من أحداث مهمة، أهمها تهجير الشعب الفلسطيني من دولته لمصلحة قيام دولة "إسرائيل" التي توالت اعتداءاتها على الدول العربية، في ظل تشتت وتشرذم عربي متزايد، وصولاً إلى "الربيع العربي" الذي أغرقته أنظمة الحكم العربية بالدماء والدمار بدعم دولي ظاهر .

ولهذا استبقت موسكو الإعلان الرسمي لانتصارها وحلفائها في حلب، لتعلن عن عقد لقاء ثلاثي في موسكو ضمّ إليها كلاً من إيران وتركيا، ولم يؤثر اغتيال السفير الروسي في أنقرة على اجتماع المجتمعين وخروجهم بإعلان يحدد الملامح العامة لسير التسوية السياسية في سوريا، وتحديد مدينة الأستانة عاصمة جمهورية كازاخستان الحليفة لموسكو كمنصة لبدء حوار سوري- سوري، مع بداية عام 2017، وبضمانة الدول الثلاث الموقعة على إعلان موسكو.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه اليوم، هو إلى مدى تستطيع روسيا استثمار نجاحها العسكري في حلب خصوصاً لفرض رؤيتها للحل السياسي في سوريا؟

إن الجواب على هذا السؤال مرهون إلى حد كبير بمدى ثبات العوامل التي ساعدت روسيا في تثبيت هيمنتها على سوريا، ونجاحها بالتالي في إلحاق هزائم متتالية بالفصائل العسكرية المعارضة للنظام السوري، وبعبارة أخرى إن قدرة روسيا على فرض رؤيتها للحل السياسي في سوريا ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتوفر ثلاثة عوامل رئيسية، يأتي في مقدمها أولاً بقاء السياسة الأمريكية حيال سوريا على حالها؛ تلك السياسة التي أفسحت المجال أمام روسيا للتدخل العسكري المباشر في سوريا. وثاني تلك العوامل يتعلق ببقاء الموقف التركي الحالي من سوريا واستمرار تقاربه مع الموقف الروسي. وأما العامل الثالث فيرتبط باستمرار انقسام المعارضة السورية وضعف التنسيق فيما بينها، ولاسيما العسكرية منها.

إن بقاء العوامل الثلاثة على حالها سيمكّن روسيا من استثمار نجاحاتها العسكرية، وبالتالي فرض رؤيتها لكيفية حلّ الأزمة السورية بما يتوافق مع مصالحها، لكنّ أي تغيير في أي من تلك العوامل سواء المتعلقة بالسياسة الأمريكية أو الموقف التركي، أو نجاح المعارضة في التوحّد وصياغة مشروع وطني، سيضع النجاحات الروسية في سوريا على المحك، ويعرضها إلى فشل وربما يتحول إلى نقمة على روسيا، وتجربة الروس في أفغانستان ليست بعيدة.

ولهذا، ولتحصين "إعلان موسكو الثلاثي" من أي فشل قد يتعرض له، وجهت موسكو رسالة اطمئنان إلى القوى الإقليمية والدولية مفادها أنها وتركيا وإيران لا يريدون احتكار أي حلّ في سوريا، ولا إقصاء أي طرف دولي أو إقليمي، وأن "إعلان موسكو" ليس إلا مجرد إطار عام يمكن التوافق على صيغته، بانتظار تسلم "ترامب" رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، للتوافق على صيغة نهائية للحل في سوريا تستند بشكل أو بآخر على الصيغة التي أعلن عنها في اجتماع موسكو..

إن "الانتصارات" التي حققتها روسيا في سوريا، وإخضاع حلب وتهجير جزء من سكانها لن يحسم الأمر لصالح روسيا وحلفائها، ولن يستطيع أن يضع حداً لانتفاضة الشعب السوري من دون حلّ سياسي يأخذ في الاعتبار مطالب غالبية السوريات والسوريين في الحرية والديمقراطية، وكذلك المتغيرات التي طرأت منذ 15 آذار2011.

وإن استمرار تجاهل المجتمع الدولي لما جرى ويجري في سوريا من جرائم القتل والتهجير والظلم والاعتقال وكم الأفواه ونسبها للإرهاب فقط وتجاهل دور نظام الاستبداد في كل ما حصل ويحصل، وتجاهل الحديث عن محاكمة مجرمي الحرب ومرتكبي الجرائم ضدّ الانسانية في سوريا، كمن يبقي الجمر تحت الرماد، وفوق ذلك سيؤسس لبيئة متوحشة أكثر إجراماً في المنطقة، سيدفع ثمنها كل العالم، فجذر المشكلة السورية وأساسها يكمن في الاستبداد والداعمين له.

وباختصار شديد، إن شعباً كالشعب السوري قدم تضحيات هائلة في سبيل حريته وكرامته، لن يهنأ له بال قبل أن ينال حريته مهما طال الزمن.

لقد خرج المارد الشعبي من القمقم، وما من قوة تستطيع إعادته إلى القمقم مرة أخر

قائمة الشركاء

الجهة	طريقة التواصل
مديرية التربية في إدلب	m3arefidleb@yahoo.com
مديرية التربية في حلب	edualeppo@gmail.com
شبكة حراس الطفولة	info@childprotectsyria.org
منظمة بنفسج	org.violet@gmail.com
منظمة بلد	info@baladsyria.org
مشروع غراس	info@ghiras-edu.com
تعليم	taalim@codssy.org
فسحة أمل	zein.malazi@spaceofhope.org

نسب توزع الأطفال بحسب الأماكن

المنطقة	النسبة المئوية
الأتارب	30.15
الدانة	20.23
دارة عزة	13.57
معرة تمصرين	8.58
اعزاز	8.21
مدينة ادلب	4.48
قورقينا	3.63
جبل سمعان	2.52
حارم	2.47
سلقين	1.67
سراقب	1.24
دركوش	1.20
أرمناز	1.11
كفرتخاريم	0.93

* مدير برنامج حماية الطفل في شبكة حرّاس

فضاء مفتوح لجريمة بلا عقاب

إباء منذر

جريمة مُكتملة الأركان باستثناء العقاب، لعلّهُ أبسط توصيف لجرائم "التشهير الإلكتروني" باعتبارها شكلاً من أشكال العنف غير المُلاحق قانونياً، وغالباً ما تكون المرأة أكثر ضحايا هذا النوع من الجرائم، وكلّما اقتربت من دائرة الضوء أكثر كلّما كانت عرضةً لحملات التشهير القائمة على أساس تمييزي.

عورة المرأة سلاح..

الانتهاكات المرتكبة بحق المرأة عبر شبكة الإنترنت أو الإعلام الإلكتروني باتت فاقعة وسافرة خلال سنوات الثورة السورية بعد 2011، حيث استخدمت المرأة كواحدة من أدوات الصراع للطعن في أخلاقيات كلا الطرفين، فلم يتوان النظام السوري عن تصدير ما أطلق عليه اسم "اعترافات لنساء من أوساط المعارضة" عبر شاشاته مُلفقاً روايات تتعلق بممارسات لا تتوافق والمنظومة الأخلاقية للمجتمع السوري (جهاد النكاح)، وكذلك تناولت بعض وسائل الإعلام المحسوبة على الثورة أخلاقيات التشكيلات النسائية العاملة مع النظام وروّجت لبعض الروايات المتعلقة بالدعارة.

التشهير بالمرأة أحد المواد الدسمة التي تتعامل معها وسائل التواصل الاجتماعي بفوقية وباستخدام ألفاظ ذكورية قائمة على التمييز والتحقير الذي من شأنه استلاب قدرات المرأة، مثل هذه المواد تنتشر سريعاً حيث لا حدود ولا جغرافيا تحدها، كذلك لا رقيب يضبطها أو عقاب يردعها.

لم تسلم العاملات في الشأن العام من حملات التشهير الإلكتروني والطعن وتناول الحياة الشخصية، كأن تصبح صورة عضو الائتلاف سهير الأتاسي بملابس السباحة الشغل الشاغل لوسائل التواصل الاجتماعي بدلاً من النقد المُنتج والموضوعي لوظيفتها. أو أن تصبح تسمية المجلس الاستشاري النسائي الذي شكله مبعوث الأمم المتحدة إلى سوريا ستيفان ديمستورا بـ(نساء ديمستورا)! مع كل ما تحمله هذه التسمية من إشارات وإيحاءاتٍ تمييزية، في حين لم يكن صعباً انتقاد شخصيات المجلس بشكلٍ موضوعي وقائم على المهمة الموكلة لهن.

حصانة ذكورية

في المقابل يبقى الرجال العاملون في الشأن العام بعيدين إلى حدٍ كبير عن التعرّض لحملاتٍ مشابهة في تناول حياتهم الشخصية، بينما تشهد الأوساط السياسية العالمية فضائح للرجال والنساء على حدٍ سواء تكاد تودي بمستقبلهم السياسي والمهني.

لعلّ خلف مثل هذه الحملات التي تستهدف المرأة أكثر من الرجل في مجتمعاتنا عقلية ذكورية راسخة لا تزال تعتقد أنّ المرأة عورة، وضلع قاصر في المجتمع مهما ارتفع شأنها، وهذا ما يؤدي بالنتيجة إلى شكل جديد من أشكال العنف الموجّه ضدّ المرأة وهو العنف الإلكتروني.

وإذا اتفقنا مع علماء النفس باعتقادهم أنّ ضعف التواصل العقلي والموضوعي هو أحد الأسباب الكامنة وراء ظاهرة العنف أيّاً كان شكلها، فذلك سيقودنا إلى معاينة حجم الهوة بين تطوّر أدوار المرأة واتساعها وثبات النظرة الدونيّة التي يحاول المجتمع ترسيخها.

غرس ثقافي

شكل آخر من أشكال العنف الإلكتروني يتمثّل في رسائل التهديد والابتزاز التي غالباً ما يتعرض لها معظم العاملين في الشأن العام، إلاّ أنّ تهديد المرأة بهذه القضايا أكثر خطورة لحساسية وضعها ضمن مجتمعاتنا، لكونها الحامل لقيمة "الشرف" وفق المنظومة الأخلاقيّة السائدة، المُستندة على عورة جسد المرأة ووجوب صيانته.

الأصعب في قضايا العنف الإلكتروني هو عدم القدرة على الوصول للجناة، إلى جانب عجز شبه مطلق للمرأة في الدفاع عن نفسها هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى تعمّد حملات التشهير إلى غرس صورة معينة في ذهن المتلقي يصبح من الصعب تغييرها، وللإنصاف لا يمكن تبرئة المرأة من جريمة التشهير التي تتعرّض لها بنات جنسها، كأن تكون مشاركة في مثل هذه الحملات.

قوانين عرجاء

العنف الافتراضي واقع على المرأة شأنه شأن العنف التقليدي، وإذا أردنا البحث في الحلول فعلينا أولاً معالجة قضية العنف الواقعي الذي تعجز القوانين في منطقتنا العربية عن الانتصار للمرأة من خلاله وتحقيق العدالة المطلوبة على سبيل المثال التحرش والتشهير.

بالتوازي لا يمكن وضع حد للعنف الإلكتروني دون وجود منظومة دوليّة تقوم على مبدأ المراقبة وتفعيل آليات المحاسبة، فحتى الآن تقف المنظمات والهيئات المعنية بحقوق الإنسان عاجزة حيال مثل هذه الجرائم، وفي أفضل الأحوال تحاول رصد هذه الانتهاكات دون إيجاد صيغ عملية فاعلة لمواجهة هذه الجرائم ومحاسبة مرتكبيها.

بعض وسائل التواصل الاجتماعي من جانبها وضعت قانونها الخاص لمحاسبة المسيئين عبر إغلاق الحساب الذي يتعرّض لتبليغات بسبب نشره لما هو مسيء، إلاّ أنّ في ذلك محاكمة غير عادلة؛ فالعديد من الحسابات تتعرض للتبليغات دون وجود محتويات مسيئة إنّما لأغراضٍ شخصية، وبالتالي من الصعب إيجاد صيغ مانعة قاطعة لدابر الجريمة الإلكترونية دون تعاون كل الفاعلين في الفضاء الإلكتروني بمعنى وجود هيئات أممية، تسن قوانين متفق عليها.

وربما يعتقد البعض أنّ الحيّز الإلكتروني هو المجال الشخصي الحر، وأيّ مراقبة أو متابعة من شأنها الحد من هذه الحريّة الشخصيّة، لكن القاعدة الذهبية للحريّة الشخصيّة تكمن بانتهائها عندما تبدأ حريّة الآخرين، وفي هذا حصانة لحريّاتنا جميعاً في هذا الواقع الافتراضي.

بورتريه:

ماري عجمي والثقافة الفاعلة في محيطها

المحامية منى أسعد

ولدت ماري عجمي في دمشق أواخر القرن التاسع عشر، بتاريخ 14 أيار سنة 1888 لأسرة من أصل حموي، وتوفيت في دمشق أيضاً بتاريخ 25 كانون الأول 1965. ما بينهما شقت هذه الشابة طريقاً مفعماً بالنشاط والدراسة والتعليم، دون أن ينفصل هذا النشاط عن نضالات تلك المرحلة الوطنيّة، خاصّة في مقارعة الاستبداد والمطالبة بالحريّة ورفع الظلم عن السوريين عامّة، والدفاع عن قضايا المرأة وحقوقها بشكل خاص، حيث كانت رافعة ومنارةً لنشر الثقافة والتنوير.

درست ماري في معهد "الفرنسيسكان" بدمشق، ثمّ تخرّجت من "المعهد الإيرلندي" عام 1903، ومارست التدريس لعام واحد، وهي الصبية التي لم تتجاوز ربيعها السادس عشر. بعدها ذهبت لدراسة التمريض في "الكليّة الأمريكيّة" في بيروت. لكنها، ولأسباب صحيّة، لم تكمّل هذه الدراسة، لتعود لمزاولة التدريس. وتنقلت بين الكثير من المدن والبلدان العربية؛ من زحلة في لبنان إلى بور سعيد والإسكندرية في مصر، مروراً بفلسطين والعراق، قبل أن تعود إلى دمشق مدرسة في معهد "الفرنسيسكان".

كان التدريس مهنة لكسب العيش بالنسبة إلى عجمي، لكنها وهي الشغوفة بالأدب والكتابة والخطابة، كانت تطمح إلى أكثر من ذلك، واستفادت من انتشار مقالاتها وقصائدها في أغلب المجلات والصحف العربية التي كانت تصدر في ذاك الوقت، ليس في سوريا فحسب، بل في لبنان وفلسطين ومصر، لتأسيس أوّل صحيفة نسائيّة عربية باسم "العروس" عام 1910، والتي كانت تطبع في حمص بداية قبل أن تنتقل إلى دمشق، حيث اضطرّت للتوقف عام 1914 بسبب الحرب العالمية الأولى، لتعاود الصدور بعد انتهاء تلك الحرب عام 1918، واستمرّت حتى عام 1926.

رائدة في الدفاع عن قضايا المرأة:

كانت ماري عجمي سيدة موهوبة، فكتبت الشعر الكلاسيكي، وتناولت كغيرها من شعراء ذلك العصر القضايا الاجتماعية والسياسية والوطنية في فترتي الحكم العثماني والفرنسي، لكنها كانت رائدة في الدفاع عن قضايا المرأة، وكانت ثقافتها موسوعيّة، إذ درست إلى جانب العربيّة، اللغتين الروسيّة والإنكليزيّة، كما اهتمت بالترجمة، لكنّها ترجمت بتصرّف إن صحّ

التعبير، كما كان شائعاً في ذلك الزمن، أو ما أطلق عليه التعريب. فعرّبت رواية بعنوان: "المجدليّة الحسناء" عام 1913، وترجمة لكتاب "أمجد الغايات" سنة 1927. بالمقابل لم تطبع شيئاً من أعمالها الشعريّة أو النثريّة، خارج مجلتها "العروس" أو ما تنشره في باقي الصحف، والتي جُمعت مختارات منها بعد وفاتها وطبعت في دمشق مع مقدمة لـ"عفيفة صعب"، قال فيها الشاعر "خليل مردم بك": "جمعت ماري بين الصناعتين النثر والنظم، فلها المقالات والخُطَبْ والقصائد، وعالجت الترجمة كما عالجت الإنشاء".

وكان للسيدة عجمي نشاط ثقافي واجتماعي موازٍ للتدريس والكتابة والترجمة، فأنشأت معهداً لتدريس البنات، خارج المعاهد التابعة للبعثات التبشيريّة أو الدبلوماسيّة للدول الأجنبيّة. "دأبت في معهدها على غرس الحسّ الوطني الصحيح في نفوس الطالبات، وتوجيههنّ في الخط القويم، كما غرست في نفوسهن اليافعة، بذور مناهضة الحكم العثماني" كما ذكرت إيميلي نصر الله في كتابها "نساء رائدات".

أسسّت عجمي مع زميلتها "نازك العابد" "النادي النسائي الأدبي" في دمشق، وجمعية "نور الفيحاء" وناديها، وأسهمتا بتأسيس أوّل مدرسة لبنات الشهداء عام 1920، وكانت العجمي عضو "الرابطة الأدبية" التي تأسسّت في دمشق أوائل العشرينيات، بل كانت المرأة الوحيدة فيها.

أمّ الحياة الشخصيّة

الحياة الثقافية والنشاط الاجتماعي والوطني كاد يسيطر على كامل حياة ماري عجمي، حتى إنّ حياتها الشخصيّة تلاشت تحت وطأة تلك المهام والنشاطات العامّة، خاصّة وأنها ارتبطت بعلاقة مع الصحفي والمناضل "بيترو باولي"، من التابعيّة اليونانيّة، الذي كان مقيماً في بيروت، وعقدا خطوبتهما بانتظار الفرصة المناسبة للزواج. وكانت الكاتبة تطلق على خطيبها لقب "الباتر" نظراً لجرأته الأدبيّة والسياسيّة، فهو من مناهضي الحكم العثماني. ودخل السجن أكثر من مرّة بسبب كتاباته، لم تنقطع ماري خلالها عن زيارة خطيبها ومراسلته وهو داخل أسوار سجن "عاليه اللبناني" أو في "سجن دمشق"، خاصّة وأنهما اجتمعا على مناهضة الظلم والاستبداد العثماني، وبشكل خاص بعد فشل حملة "جمال باشا السفاح" التي عرفت بـ"سفر برلك"، حين لجأ إلى اضطهاد معارضيه واعتقالهم، فاعتُقل "باولي" في دمشق سنة 1915 مع غيره من الكتاب والصحفيين والساسة المعارضين، وكانت ماري تتحدّى الجنود والسجّان لتصل إلى حبيبها، تشجّعه وتشدّ من أزره، حتى بعد إعدامه في ساحة المرجة بتاريخ السادس من أيار 1916 الذي أصبح يعرف بـ"عيد الشهداء". فرثته بقولها: "وكما يحتفل الفتى بزفافه هكذا احتفل هذا الشهيد بمشنقته. فما دعي إلى ارتقائها حتى صاح بشركائه فيها: هلموا أيها الإخوان إنها لأرجوحة الأبطال".

بعد ذلك لم تتزوج ماري عجمي، ولم تكن وفية لخطيبها فقط، بل شمل الوفاء كل المبادئ والتطلّعات التي جمعتهما معاً، وتابعت بعد انتهاء الحكم العثماني رفضها للاستعمار الفرنسي، وقد سعت الكاتبة في كلّ نشاطاتها اللاحقة إلى تمثّل قيم النضال ومقاومة المحتل، والعمل على إيقاظ الروح الوطنيّة وبشكل خاص لدى النساء، لكن هذه القامة الشامخة التي لم يستطع أن ينال منها الحكم العثماني أو "جمال باشا السفاح"، وتصدت بأنفة للاستعمار الفرنسي ومخططاته في سوريا، ذوت مهملة في أخريات العمر، ولم تجد سلطة "البعث" و"حماية الأقليّات" أو اتحادها النسائي امرأة واحدة تسير في جنازتها التي اقتصرت على 16 مشيّعاً إلى مقبرة "الروم الأرثوذكس" في باب شرقي من دمشق. كتبت عنها "إيميلي نصر الله" في كتاب "رائدات النهضة"، وكتب "ميشال جحا" كتاباً عنها جمع فيه جزءاً مُهمّاً ممّا كتبته، وممّا قيل في هذه المناضلة التي بنت مجداً للمرأة السورية.

نسـاء في المخيمات (2)

غياث الجندي

كانت سلمى مثلها مثل الآلاف الذين اضطرّوا إلى الهروب من جحيم الحرب السورية، ومن نيران البراميل المُتفجّرة التي تسقط كل يوم وكل ليلة بجوار منزلها، تحلم بعشّ آمن لها ولأولادها الذين حُرِمُوا من طفولتهم ومن مدارسهم. عبرت الأم الوحيدة قريتها إلى الحدود التركية، ومن ثمّ إلى مدينة تطلّ على البحر الذي يؤدي بالناس إلى الأراضي اليونانية.

ركبت سلمى وأطفالها القارب المطاطي لتعبر إلى اليونان، بعدما ضاق بها الانتظار لأن تلحق بزوجها وطفلها بإحدى الدول الأوروبية. لقد كانت محظوظة أنّها وصلت للبرّ اليوناني مع آخرين بعد نجاتها من جشع المُهربين، ومن الأمواج البائسة التي تغمر المراكب حيناً وتستكين حيناً آخر. كانت فكرتها أنّها ستنتظر لأيام معدودة قبل أن تأخذ طريق البلقان لتوصلها إلى من ينتظرها في أطراف أوروبا.

انضمّت سلمى للاجئين واللاجئات العالقين في اليونان بظروفٍ مأساويّة، تنفرد بوضعٍ خاص حيث يعيش معظمهم مصيراً غامضاً مجهول النهاية. يعيش القسم الأكبر منهم في مخيمات مؤقتة أو في أبنية مهجورة ينقصها الدعم والمساعدات؛ فلا مدارس للأطفال، ولا حياة طبيعية للأهالي. وتتحمّل النساء القسم الأكبر من هذه المعاناة المُستمرة؛ حيث يوجد عدد لا بأس به من الأمهات اللواتي ينتظرن مع أطفالهن لمّ شمل عائلاتهن بعد سفر الأزواج إلى دول اللجوء الأوربي، آملين بلقاءٍ قريب قبل أن تسكّر حدود دول البلقان وتغلق أبواب السفارات بوجوه العائلات.

سلمى أمٌّ لأربعة أطفال سبقها زوجها منذ ثمانية عشر شهراً مع ابنها الذي يبلغ من العمر ثمانية أعوام. وفي غمرة الحرب الشعواء التي يشنها النظام السوري، ومع غياب أي مستقبل لأطفالهم في ظل قصف المدارس والمنشآت الحيوية والانتشار العشوائي للمسلحين، هربت العائلة من الدمار المُمنهج للمجتمع المحلي التي كانت تعيش فيه.

تم ترتيب الخطوة الأولى بمغادرة الأب مع ابنه الصغير؛ حيث لم تكن تسمح له قدراته المادية بالسفر مع كل العائلة عبر قوارب الموت التي سيطر عليها حفنة من المهرّبين المجرمين بدورهم أيضاً.

استقر الزوج والابن في دولة أوروبية، لكن بقيت العائلة تحت رحمة البراميل المتفجرة وتحكّم المسلّحين بلقمة عيش السكان المحليين. وحيث تأخرت السفارة بتمكين العائلة من الالتحاق ببقيّة أفرادها، قرّرت سلمى أن تصطحب أطفالها الثلاثة وتنطلق عبر قوارب الموت إلى اليونان عن طريق تركيا.

بقيت سلمى في خيمة مع أطفالها على الحدود

لمدة شهرين ونصف في ظروف شبهتها بأنّها "حالة من حالات جهنم"، وبعد أن فقد اللاجئون الأمل بفتح الحدود عادوا من حيث أتوا، وصلت العائلة إلى ميناء أثينا، حيث تجمّع العالقون في اليونان هناك في خيمٍ بسيطة التصميم، في اكتظاظٍ شديد وسط حرٍّ شديد وأحياناً مطرٍ غزير أدّى إلى عوم الخيم وتبلّل اللاجئين مع أمتعتهم.

في الميناء لم يوجد إلاّ القليل من المنظمات للمساعدة، واعتمدت العائلات على المساعدات من المتطوّعين والمتطوعات، ومن الأهالي اليونانيين الذين أتوا لمساعدة اللاجئين. بقيت سلمى مع أطفالها في الميناء بدون أيّ دعم أو أيّ إمكانيّة لأن تلتقي بطفلها الصغير الذي بدأ يكبر بألمانيا بعيداً عن أمّه وإخوته.

لم تكن صعوبة العيش في تلك الخيم تنحصر فقط في نقص المساعدات، ونقص الدعم العاطفي للعائلات المُقسّمة، بل امتدّت لصعوبة المحافظة على الأطفال من الضياع في ظل انتشار الفوضى والعنف بينهم والعنف بين رجال المخيم من جنسيات مختلفة. لقد كان الأطفال مرّة أخرى ضحايا الظرف الجديد، وضحايا عنف الكبار، والغياب التام لأيّ عمليّة تربوية، أو وجود أيّ إمكانيات للتسلية والترفيه. الأمر الذي حتمّ على سلمى القيام بدورٍ مُعقد؛ فبالإضافة لغياب الأب، وغياب أفق أيّ حلول، كان عليها المحافظة على أطفالها من الاتجاه نحو العنف أو التشرّد داخل الميناء ومن بعده المُخيّمات، كان عليها أن تقوم بالدور التربوي وتعليم أطفالها القراءة والكتابة. ابنتها الصغيرة صاحبة العشر سنوات لم تدخل المدرسة أبداً، أمّا الولدان الأكبر منها فتعلموا للصف الأول والثاني قبل بدء الحرب وإغلاق المدارس أو قصفها.

لم يكن الحال أفضل بعد انتقال سلمى إلى مُخيّم مؤقت للاجئين في ضواحي أثينا، حيث حوصر أكثر من أربعة ألاف لاجئ ولاجئة في ظروف تفتقر

لأبسط الشروط الإنسانيّة، وتفتقر لأبسط حقوق الإنسان وحقوق الطفل بشكل خاص. في هذا المخيم انتظرت سلمى مع أطفالها لمدة أربعة أشهر حتى أعطتها السفارة الألمانية موعد المقابلة من أجل "لمّ الشمل"، خلالها كانت سلمى حبيسة "كرفانتها" حيث انتشرت الفوضى أكثر في المُخيّم وتزايد العنف أكثر بين الأطفال. وبينما كانت تشتد الظروف قسوة عليها وعلى أطفالها كانت سلمى تنجح عبر أطفالها بنقلهم نحو النجاح.

ابنتها "ليلى" التي لم تدخل المدرسة من قبل نجحت في تعلّم القراءة والكتابة، ونجحت في تعلّم الإنكليزية قليلاً، بينما أخوها "ليث" الذي تعلّم للصف الأول في مدرسته في سورية تعلّم الإنكليزية وكميّة لا بأس بها من الألمانية.

أصبح "ليث" أيضاً لاعب كرة قدم مشهور في المخيم. كان يعمل على أن تكون العائلة بوضع جيد مع أنّ عمره لم يتجاوز الأربعة عشر عاماً. كان ينهض صباحاً ليستلم مُخصّصات الأسرة من الطعام والشراب، وكان في الوقت الذي يسمح له يترجم لبقية العائلات.

بعد تسعة أشهر من نار الانتظار الحارقة، وصلت سلمى مع أبنائها إلى البلد الذي يُقيم فيه زوجها وطفلها. كانت الرحلة في غاية الصعوبة والألم لكن نجاح أطفالها في التعلّم وفي تجنبهم الانخراط في العنف أو التشرّد هو انتصار سلمى على الانتظار واليأس. تحوّلت سلمى من معلمة للّغة الإنكليزية إلى لاجئة مثل الملايين من أفراد شعبها.

أمـل وزواجها الثاني

مريم الحلاق

بقيت أمل الأرملة ذات الاثنتي عشرة عاماً في بيت زوجها المتوفى إلى أن انتهت شهور العدّة الأربعة وأيامها العشر، ثمّ عادت الأرملة إلى دار أهلها، الذين استقبلوها بالحزن والندب على حظها التعس. وجاءت نسوة القرية لتعزيتها، وكلٌّ مُنهنّ تنتقي العبارات الملائمة لوصف أمل وحظها، حتى أنّ بعضهنّ طلبن الإسراع بتزويجها مُجدّداً؛ فهي أرملة وستجد ألسنة الناس في سلوكها -أيّاً كان- حديثاً عن شرفها. بل إنّ إحدى الجارات تطوّعت لتدبير العريس الذي يرضى بالاقتران بأرملة!

وقع الاختيار على الجار الزاهد الذي يُقيم في (صومعته) وهي غرفة صغيرة تعلو الدار، يَصعد إليها بسلم خشبي متباعد الدرجات حيث يبقى هناك ليلهً ونهاره. وكان الجار لا ينزل إلا عند سماع صوت أمّه تدعوه للطعام أو ليذهب للصلاة في المسجد القريب من داره. قامت الجارة "أم خالد" بالوساطة وأقنعت أم العريس ومن ثمّ أم العروس, فتمّت الموافقة وجُهّزت العروس.

كانت أمل في الثالثة عشر من عمرها حين زفّت إلى زوجها الثاني المُلقّب بـ"الرَشِقْ" نظراً لرشاقة حركته. استقبلتها حماتها بزغرودة خجولة؛ فهي أرملة ولا تستحق أن يُقام لها عرس كالعذارى.

أمل لم تكن على معرفة بالعريس سابقاً، ولم يتقدم لخطبتها بشكلٍ شخصي، وهو العازف عن الزواج وعن متاع الدنيا، بل قامت أمّه بالتقدّم إلى والدتها التي سوّت الأمر مع والدها، وعند عقد القران لم يكن من داعٍ لوجودها، فأبوها هو وكيلها، وحين طلب الشيخ المخوّل بعقد القران سماع الموافقة من فم العروس أوقفتها والدتها خلف الباب الموارب وطلبت منها أن تجيب بنعم.

دخلت العروس الغرفة المُخصّصة لزوجها. كانت بسيطة في أثاثها، وقد وضعت ملابسها التي رافقتها من زواجها الأول في صندوق خشبي إلى جانب الجدار في صدر الغرفة. دخل عريسها الغرفة وكان في الأربعينيات من عمره، طويل القامة، امتزجت الشعرات البيضاء بلحيته السوداء والتي كانت قصيرة مقارنة مع لحية زوجها الأول، رحّب بها بكلمات خافتة، وأنجز مهمته وخرج ليستحم ويصعد إلى صومعته.

هكذا مرّت الأيام تعيش فيها أمل مع حماتها، وترى زوجها أثناء تناوله الطعام، ونادراً ما يزورها في المساء. كان "عبد القادر" الأخ الأصغر لزوجها قريباً منها أكثر، فقد كان يكبرها ببضع سنوات، تراه طيلة النهار يحادثها، ويطلب رأيها في بعض الأمور،

يساعد والدته ويساعدها في أعمال الزراعة والبيت. مرّت الأيام وبدأت حماتها بالتساؤل عن السبب وراء عدم حملها، فقد أصبحت في الرابعة عشرة من عمرها ومضى على زواجها عاماً كاملاً. ولكن أمل لم يكن عندها الجواب ولم تقتنع والدة زوجها بكلام "الداية" بأنّ أمل مازالت صغيرة.

ويأبى حظّ أمل التعس إلاّ أن يستمر.. تذكر أمل أنّها سمعت صراخ زوجها حين سقط من السطح على أرض الدار، فقد زلقت السلم به بعد أن وضع قدميه عليها بغية النزول، ولم يستطع تفادي السقوط، فكانت السقطة على رقبته، وأعلن الطبيب أنه أصيب بالفالج (الشلل).

عدة أسابيع مضت، لتعود أمل لثوبها الأسود ثانية ولتقضي شهور العدّة، وتعود بعدها إلى دار أهلها أرملة للمرّة الثانية، وهي في الرابعة عشر من عمرها.

هل من الممكن اقتصادياً توحد الفصائل المقاتلة؟

وائل موسى

توحد الفصائل المقاتلة في سوريا هو أمنية كل ثائر على طغيان الأسد، ولكن الأمنية لم تتحقق بعد، فما هي الأسباب؟

يتابع الكثير من السوريين بقلق بالغ ما آلت إليه الأوضاع في أحياء حلب الشرقية وتهجير سكانها القسري برعاية دولية، وفي الوقت الذي لا تزال فيه أخبار الفصائل في عموم سوريا تتوارد حول الاتفاق ثم الاختلاف ثم الاقتتال وهكذا دواليك.. تسير الأوضاع في دائرة مفرغة أشبه بالمتاهة، دونما أثر لأي توحّد يرصّ صفوف المقاتلين نحو هدف واحد يدّعي الجميع أنهم يقاتلون لأجله.

سنة مالية جديدة

أنهت المؤسسات والحكومات والشركات والمنظمات سنة مالية كاملة، وحان موعد تدقيق الحسابات، فماذا عن الفصائل المقاتلة؟

تنهمك المؤسسات مع نهاية كل عام بإعداد الحسابات الختامية للسنة الفائتة، ورغم اختلاف المستويات، إلا أن الحكومات لا تختلف عن أصغر الشركات في المسائل المالية، حيث الجميع لديه حسابات سنوية ختامية تبين لهم أين ذهبت الأموال، ومنها تبدأ المساءلة بحثاً عن الأخطاء سعياً لتصحيحها وتطوير آلية العمل، فهل من الممكن أن ينطبق الأمر على الفصائل المقاتلة؟

تمارس المؤسسات العسكرية في كل الدول نشاطات اقتصادية، حيث الصناديق الاستثمارية والصناعات العسكرية التي من شأنها أن تمول الإنفاق العسكري.

لا تقتصر النشاطات الاقتصادية العسكرية على تمويل إنفاقها، وقد تساهم بشكل كبير في دعم اقتصاد الدولة فيما لو عملت وفق خطط ناجحة، كما قد تساهم في انهيار اقتصاد الدولة وتردي الأوضاع المعيشية فيما لو عملت وفق سياسات سيئة لصالح الإنفاق العسكري.

حالة الثورة السورية لم تسمح بوجود مؤسسة عسكرية متكاملة، ولمعرفة الأسباب بعيداً عن التوجهات علينا مراجعة مراحل نشوء الفصائل وتطورها.

بداية تأسيس الفصائل المسلحة

كحالة استثنائية بحسب الأوضاع في المناطق، ولدت فصائل عسكرية صغيرة، منها لتأمين المنشقين عن نظام الأسد، ومنها محاولة لردع قوات النظام عن مهاجمة المظاهرات، لتتطور لاحقاً نتيجة التحاق الكثيرين من المدنيين أو العسكريين لأسباب مختلفة، وكنتيجة حتمية لولادة هذه التشكيلات المحصورة ضمن مناطق محددة وحاجتها للتخفي عن أعين النظام، وجب على كل تشكيل تأمين احتياجاته بشكل مستقل عن غيره، وهنا تكمن أكبر أزمة مستمرة إلى وقتنا هذا.

الصندوق المالي للفصيل

اعتمد كل تشكيل على خطته الخاصة لتمويل نفسه، فمنهم من كان يتلقى الأموال من الداعمين، سواء كان الداعم من داخل أو خارج سوريا، وبكافة الأحوال يأتي عبر أشخاص لا مؤسسات أو دول، وهذه الفئة هي الأكثر انتشاراً، ومنهم من عمل وفق خططه الخاصة لتأمين احتياجاته من خلال نشاطات سرية، كالتجارة أو التهريب أو الاستيلاء على الممتلكات العامة وبيعها، وصولاً إلى السرقة والخطف وطلب الفدية من أصحاب الأموال لإجبارهم على المساهمة في دعمهم.

استمرت هذه الحالة لفترة تزيد عن سنتين قبل أن يبدأ الحديث عن إيجاد جسم جامع يعمل بشكل مؤسساتي لصالح الجميع، وهذه الفترة كانت كفيلة بإيجاد العديد من التشكيلات في المنطقة الواحدة، تعمل كل منها وكأنها شركة خاصة منافسة لمثيلاتها، فكل واحدة من هذه التشكيلات لها شعارها ونظامها وسياساتها الخاصة.

الجيش السوري الحر

التشكيل المعروف بالجيش السوري الحر كان واحداً من التشكيلات الساعية لإيجاد نظام متكامل عبر تأسيس كتائب في مناطق متعددة.

لم يحظ تشكيل الجيش السوري الحر بدعم رسمي على محمل الجد كمؤسسة عسكرية، وكحال بقية التشكيلات المحلية اضطر لتأمين مصادر دعم أغلبها كانت فردية، ونتيجة غياب الخبرات الاقتصادية وعدم توفر الدعم الكافي، فشلت هذه المؤسسة بتأمين متطلبات التشكيلات الموجودة في كافة المناطق السورية، مما عزز التشرذم والفرقة بين الفصائل، ورغم تطور المجلس العسكري فيه إلا أنه لم ينجح في توحيد الفصائل وإيجاد جسم جامع مؤسساتي وفق سياسة اقتصادية عسكرية محكمة.

الخلافات والاقتتال وعلاقتها بالاقتصاد

من أكثر الأحداث المؤلمة التي تشهدها الثورة السورية هو اختلاف واقتتال الفصائل المسلحة وما ينتج عنه من تأثيرات اجتماعية واقتصادية، ومن خلال مراجعة الأحداث يتبين أن غالبية الخلافات والاقتتال كانت لأسباب اقتصادية وإن حملت أوجهاً مختلفة، كحال اختلاف الفصائل واقتتالها في الغوطة الشرقية نتيجة خلافات حول الأنفاق والدعم الوارد والمساعدات.

نجد أيضاً محاربة بعض التشكيلات لفصيل معين بسبب ارتكابه عمليات خطف وسرقة، كما حصل في العديد من المرات ضمن حلب، ولا يغيب على أحد شهرة البعض بألقاب وصفية نتيجة أسلوب اتبعوه في تمويل نشاطاتهم مثل شهرة قائد عسكري بالمازوت!

حلم توحد الفصائل

إن أبرز المشكلات الموجودة في بنية الفصائل العسكرية منذ نشأتها إلى هذا اليوم هي تأسيسها بشكل غير قابل للاندماج اقتصادياً، فكل المحاولات التي سبق أن شهدتها الثورة السورية لتوحيد الصفوف لم ينتج عنها سوى تشكيل غرف عمليات موحدة تقتصر على التعاون وليس الوحدة والاندماج.

حالات الاندماج التي تمت سابقاً لم تكن سوى تضمين بعض الفصائل الصغيرة ضمن تشكيل أكبر وفق اتفاق يتكفل فيه التشكيل الكبير عملية تأمين كافة الاحتياجات، كما حصل عدد من الانقسامات نتيجة توفر فرصة لتأمين عملية تمويلهم بشكل مستقل عن البقية.

على السياسيين إدراك أن توحد الفصائل لتشكيل جيش سيبقى مجرد حلم إلى أن يتم التنسيق والتفاوض لمعالجة المشاكل الاقتصادية للفصائل.

انقطاع المياه في دمشق ، مياه الشام في خطر

تسبب انقطاع المياه في دمشق بمعاناة كبيرة لسكانها بعد أن خرج نبع بردى ونبع الفيجة عن الخدمة بسبب القصف بالبراميل.

خرق الاتفاق

في الأسبوع الأخير من عام 2016 شنّت قوات النظام حملة عسكرية على مناطق وادي بردى على الرغم من وجود اتفاقية بين النظام السوري وأهالي وادي بردى، تعود لشهر تشرين الأول/ نوفمبر من عام 2015، حيث يكفل الاتفاق السابق السماح لمهندسي الصيانة بالدخول وإنجاز عملهم لضمان استمرار ضخّ المياه إلى دمشق، مقابل فتح الطرقات للمدنيين وإدخال الغذاء إلى أهالي الوادي المحاصرين حينها.

تسببت الحملة العسكرية الأخيرة بأضرار كبيرة لحرم نبع الفيجة المعتمد بشكل أساسي كمصدر لمياه الشرب، كما توقف ضخّ مياه نبع بردى نتيجة تضرر في المضخات، وبذلك فقد سكان دمشق مصادرهم المائية بسبب منهجية قوات الأسد في القتل على مبدأ "الأسد أو نحرق البلد" دونما أي حسبان للعواقب.

المياه في دمشق

ليست هذه المرة الأولى لانقطاع المياه عن دمشق، لكنها الأخطر والأكثر تأثيراً على العاصمة ومستقبل المياه فيها.

لمياه بردى فضل على العاصمة التي لم تكن لتشهد تطوراً وتوسعاً حضارياً لولا المشروع الوطني الذي تأسس على أيدي رجال وطنيين منذ عام 1932، وتعرضت مياه بردى للإهمال والإساءة في عهد الأسد الأب والابن لم تشهده سابقاً، حيث أهملت مصادر المياه من الرعاية وبات مجرى النهر مكباً للنفايات، ومصبّاً لمجاري الصرف الصحي نتيجة تخلف الحكومة في تطوير البنية التحتية.

"الموت السريري البطيء لنهر بردى" كما وصفه الدكتور مأمون الفحام قبل بداية الثورة بات مستعجلاً في عهد الطاغية بشار. الدكتور الفحام أستاذ في جامعة دمشق في مجالات التنمية العمرانية المستدامة، تحدث عن مشكلة بردى في غياب الوعي والتخطيط الاستراتيجي، وذكر العديد من الأخطاء المرتكبة من الحكومة، كالمشاريع التي ركزت على المظهر الخارجي لمجرى المياه

مما تسبب بمشكلة كبيرة لتوازن البنية الجوفية، وأحدث تصدعاً في المباني مثل التكيّة السليمانية وبناء النفوس القديمة ومبنى وزارة الداخلية ومبنى الحجاز، بالإضافة إلى العديد من الأخطاء التي تحتاج لملف خاص لدراسة المشكلات.

يعتقد كثير من سكان دمشق حالياً أن خروج أهالي المنطقة كفيل بحل مشكلة انقطاع المياه، إلا أن هذه النظرة التي يروج لها النظام والخالية من الإنسانية أساساً، تفتقر للإدراك الكامل لحجم الخسارة التي تسبب بها قصف المنطقة. ومن الصعب أن تعود المياه إلى مجاريها قريباً.

حملات لمساعدة أهالي حلب والجيش السوري ينهب أحيائها

جرى تهجير سكان الأحياء المحاصرة في حلب الشرقية المنكوبة بعد مواجهة العديد من المصاعب؛ من نقض للاتفاق وتأجيله وتدخل من قوات إيرانية تساند قوات الأسد، لتبدأ قوات "الجيش العربي السوري الباسل" بتنفيذ ما تجيده من سرقة وتعفيش للممتلكات الشخصية بعد تفريغ الأحياء من سكانها.

التعفيش يحصد الأرواح

اشتهر عناصر ما يسمى بالدفاع الوطني بسرقة محتويات المنازل في كل مكان تطاله أيديهم، لتذهب المسروقات لاحقاً إلى ما بات يعرف بـ"أسواق السّنة"، حيث تباع المسروقات علناً دون وجود أي رادع من قبل الحكومة السورية، دلالة على تقبلها للأمر، وقد انتشرت على وسائل التواصل الاجتماعي أنباء عن فقدان عدد من جنود الأسد لحياتهم أثناء محاولتهم سرقة "غسالات مفخخة"، حيث قيل إن بعض الثوار المقاتلين قاموا بتفخيخها قبل مغادرتهم لمدينتهم، لمعرفتهم بأن ممتلكاتهم ستنهب على أيدي مقاتلي الأسد.

حملات لمساعدة أهالي حلب

العديد من الحملات سارعت لجمع التبرعات وحث الناس على المساهمة في مساعدة المدنيين الذين اضطروا للخروج دون ممتلكاتهم، ليجدوا أنفسهم في مخيمات تم إنشاؤها بشكل إسعافي، وينقصها الكثير من الاحتياجات الأساسية، في ظل أجواء قاسية في البرودة. وكان من أضخم الحملات ما قامت به دولة قطر بإلغاء الاحتفال بعيدها الوطني وإعلانه يوماً للتبرع لمساعدة أهالي حلب، حيث وصل حجم التبرعات ما يقارب 70 مليون دولار في اليوم الأول.

تحدي الأعمال الصالحة

بادر العديد من الناشطين السوريين في تركيا

لإطلاق حملات تبرع وجمع للألبسة الشتوية والمستلزمات والأغذية سعياً لتدارك المأساة الكبيرة التي يصعب استيعابها حتى على جهود حكومات، وصادف انتشار حملة انطلقت من مصر بعنوان "تحدي الأعمال الصالحة" على فيسبوك لتنتقل إلى السوريين في تركيا وتلقى رواجاً كبيراً بين السوريين في دول أخرى، حيث ينصّ التحدي على التبرع بمبلغ محدد مقابل كل إعجاب وتعليق ومشاركة لمنشور المشارك لمدة 24 ساعة، ثم يمرر التحدي لعدد من أصدقائه، ليختار كل مشارك طريقة تبرعه بنفسه. ومازالت الحملة رائجة وتتوسع، حيث يشارك فيها سوريون داخل وخارج سوريا.

"زوبعة" معرض يوسف عبدلكي في دمشق

لوحاته العارية تعكس صورة الواقع السوري الذي عرى إنسانية العالم..

غسان ناصر -طلعنا عالحرية

أثار الفنان التشكيلي يوسف عبدلكي زوبعة في أوساط المعارضين لنظام الأسد عامة وفي الأوساط الثقافية والفنية لا السورية فقط وإنما تلك المؤيدة للثورة السورية في الساحة العربية. وأخذ أصدقاء عبدلكي (قبل غيرهم) تقريعه لإقامته معرضًا في قاعة غاليري "كامل" بمنطقة المزة بدمشق، في الفترة ما بين 17 كانون ثاني (ديسمبر) و15 كانون أول (يناير) من العام الجديد، وهو ما لم يكن بحسبان الكثيرين ممن يعرفون (أبو ليلى).

عبدلكي (65 عامًا)، الذي اشتهر بأعماله المنادية بالحرية منذ أوائل السبعينيات، مستخدمًا حصانه الأبيض والأسود الذي عبّر رمزيًا عن نضال الشعب السوري خلال العقود الماضية، لا يحتاج منا إلى دفاع فهو منذ اليوم الأول الذي انتفض فيه أبناء البلد في وجه الطغيان والاستبداد، لم يقف متفرجًا كما لم يكن حياديًا، وكيف لذي "الحصان الجامح" المرتبط بذاكرة السوريين والمظلومين منذ عقود أن يكون متفرجًا أو محايدًا، هو الذي قال ذات محنة: "متى فقد العمل الإبداعي، أو الثقافي عامةً علاقته مع محيطه، يفقد شرعيته وجدواه".

والمعروف عنه أنه رغم إقامته الاضطرارية في منفاه الباريسي – بعد منعه من العودة لوطنه - نحو 25 عامًا، رفض الحصول على الجنسية الفرنسية، وظل متشبثًا بهويته، رغم حجب النظام السوري عنه جواز سفره، "باريس مجرد قاعة انتظار"، هكذا كان يردد دومًا. ولا شك أن السنوات التي قضاها في المعتقل السياسي في أواخر سبعينات القرن الماضي (1978 – 1980) - على خلفية انتمائه إلى "رابطة العمل الشيوعي" التي أصبحت لاحقًا "حزب العمل الشيوعي" - علّمته معنى الانتماء إلى شرائح وأطياف لم يكن يدركها بوضوح قبل هذه التجربة المريرة والغنية في آن.

تباين الآراء في توقيت سوري عصيب..

أول الغاضبين من إقامة صاحب الرؤوس

المقطوعة في التشكيل السوري، لمعرضه في دمشق، خاصة في هذا التوقيت السوري العصيب، كان الشاعر والصحفي اللبناني يوسف بزي، الذي نشر مقالة أثارت الكثير من الجدل، ورأى فيها أصدقاء عبدلكي ممن يعرفون تاريخ الفنان "هجومًا غير أخلاقي على رجل عرف بتاريخه النضالي الطويل"، غير أن هذا الهجوم لم يجعل "بزي" يتراجع عما جاء في مقالته المعنونة: (عبدلكي ومعرضه الدمشقي: من أمّ الشهيد إلى عارية هانئة)، التي جاء فيها: "الريبة كبيرة إزاء ما "اقترفه" يوسف عبدلكي.. بغض النظر عن دوافعه الشخصية. وهو بالتأكيد ليس ساذجًا سياسيًا، وكان يعرف أن النظام سيستثمر هذه المبادرة إعلاميًا وسياسيًا بوصفه نظامًا يرحب بـ"المعارضة الوطنية الشريفة"، وفق رطانته المعروفة. بل إن تلك "العودة" اندرجت ضمن حملة النظام الدعائية لـ(التلاحم الوطني)".

كذلك عبر الناقد والشاعر مازن أكثم سليمان، عن انزعاجه من إقامة عبدلكي لمعرضه الدمشقي، حيث قال: "من دون مُوارَبة، ومُنتهى الصَّراحة: لا أريد أنْ أستخدم لُغة التَّخوين، ولا أنْ أمحو تاريخ رجُل أو مُثقَّف أو مُبدع. لكنْ: لي بعض الحقّ أنْ أقولَ بلُغة هادئة: لقد أخطأ يوسف عبدلكي في إقامَته لمعرضه مكانًا وتاريخًا.. على المُثقَّف في اعتقادي أنْ يحسبَها بدقّةَ مُتناهية في هذه المرحلة إذا أرادَ أنْ يكونَ ضميرًا لشعب ولثورة، وصاحب موقف لا ينفصل فيه الشخصيّ عن الإبداعيّ".

في المقابل قال الكاتب والروائي إسلام أبو شاكر، معترضًا على ما ناله عبدلكي من اتهامات ذهب بعضها حدّ "التخوين"!، إن "حرب التخوين والطعن والتشكيك وترصد الزلات وتأويل المواقف والأحداث وتضخيم التفاصيل الصغيرة.. هذه حرب نشنها نحن على أنفسنا.. لا علاقة لها بأي مؤامرة.. مرض داخلي ينقلب فيه الجسد على نفسه مهاجمًا إياها.. والنتيجة جثة متآكلة مرمية في العراء دون أن تجد من يتبرع بدفنها".

من جهته، رأى الكاتب العراقي شاكر النوري، أن "الفنان يعرض لوحاته حتى يتم ايقاف معرضه من قبل السلطة.. كان لينين يقول: إنني أكتب في الصحف البرجوازية حتى يتم منعي من الكتابة. الفنان حرّ لكن المهم هو ما تحمله لوحاته يا أصدقائي".

ما تحمله اللوحات من مضامين هو المهم إذن، وهذا ما ذهب إليه الفنان السينمائي حنا ورد، الذي كتب مستنكرًا هذه "الهبة الفيسبوكية"، حيث قال: هل يوجد عري وتعري أكثر من هذا في الوطن.. عبد اللكي ومعرضه الدمشقي مع نسائه العاريات.. لفت نظري عدم التطرق إلى شكل ومضمون اللوحات المعروضة في الهجوم والدفاع في معرض عبدالكي". وأردف: "بعد مشاهدتي جزءاً من اللوحات أرى أن هذه اللوحات تعكس بكثير من المعاصرة الواقع السوري.. إذا كنا سابقًا غير عراة جميعًا فإننا الآن كلنا عراة بالكامل.. اللاجئون في المخيمات الباردة عراة؟، الغرقى في البحار الباردة عراة وموتى، السائرون بين الجبال والأنهار من اليونان إلى ألمانيا والسويد عراة، المطرودون من مساكنهم اليوم في حلب في البرد القارس عراة، وتعرى معهم النظام الإنساني العالمي، كما تعري النظام والمعارضة السورية معًا".

رغم كل ما سبق من أقوال مع وضد يوسف عبدلكي-قد يكون أقله صحيحًا وأكثره تجنّيًا-، فإن الواجب يدعونا أن لا ننسى أبدًا أن ابن الجزيرة السورية لم يجنح يومًا للعنف رغم تعرضه للاعتقال أكثر من مرة من قبل الأجهزة الأمنية لنظام الأسدين (الأب والابن)، والتي كان آخرها في مدينة طرطوس الساحلية في تموز/ يوليو 2013. وأنه كإنسان مبدع قضى ما مضى من العمر قابضًا على جمرة الإبداع بروح صارمّة متوثبّة، ما زال يواصل دربه كأحد صنّاع الغد السوري المشرق، الذي لا مكان فيه للطغاة والقتلة من حملة السلاح.

إبداعات ونشاطات سورية

طلعنا عالحرية – القسم الثقافي

صدور "التي سكنتْ البيتَ قبلي" للشاعرة رشا عمران

صدر حديثاً، عن "منشورات المتوسط" في إيطاليا، كتاب شعري جديد للشاعرة السورية رشا عمران، حمل عنوان "التي سكنتْ البيتَ قبلي". وقد صدر الكتاب ضمن مجموعة المتوسط المسماة "براءات" الخاصة فقط بالشعر، والقصة القصيرة، والنصوص. وفي هذا الكتاب تُمعِنُ "عمران" النظرَ في الوحدة، تتغلغلُ في أدقّ تفاصيلها، في محاولة لفهمها وفكفكة رموزها. ولصعوبة هذا التمعّن ومشقّته، تحاولُ خرقَهُ بخلق شخص آخرَ في المكان، فتختارُ ثيمةً لمجموعتها، تمنحُها بعدًا إضافيًا، وزاويةً جديدةً لرؤية هذه الوحدة، الثيمةُ التي اتخذتها الشاعرةُ عنوانًا للمجموعة. نقرأ من أجواء الكتاب "في خزانة الحائط/ ثمة دفتر قديم/ وجملة واحدة فقط مكتوبة بخط قلق: وحيدة.. كيتيمة تشتهي أن/ يمشط أحد شعرَها المبلل/ الجملة التي

كتبتها المرأة التي سكنت في المنزل قبلي وضعت فوقها/ خصلةَ شعر بيضاء رقيقة ورحلت.

وفي هذه القصائد تنحو الشاعرة منحى مختلفًا قليلًا عما نطالعه في الشعر السوريّ تحديدًا في هذه المرحلة.

إدوار شهدا يعرض ذكرياته التدمرية في الدوحة

"ذكريات تدمر" هو العنوان الذي تعرض من خلاله أعمال الفنان التشكيلي السوري إدوارد شهدا (1952)، في "غاليري المرخية" في العاصمة القطرية الدوحة، من 29 تشرين ثاني (نوفمبر) وحتى 12 كانون ثاني/ يناير 2017. وفيه يبحث "شهدا" عن لحظة تحرّرها من قيودها الزمنية، موثقاً لذاكرته تجاه تاريخه وما يُحيط به.

في "ذكريات تدمر"، يشكل الموضوع الإنساني هاجسًا لشهدا، إذ يشتغل عليه من خلال اللوحة وعبْر الفكر طوال رحلة من عمره، امتدت طويلاً ولا تزال.

ويعتبر التشكيلي السوري الفن ملعبًا للمتعة والألم ومجالاً للجد واللعب، واللوحة مساحة بيضاء لتفريغ الهمّ واستحضارًا لهمّ جديد. ويلعب الزمان والمكان دورًا في تشكيل لوحاته، فالأشكال التي يرسمها لا تنتمي لزمان معين، فهي خارج إطاره ولا لمكان محدد وغالبًا ما تكون هي المكان ذاته، حيث لا مكان دون شكل ولا شكل بدون مكان. يقول شهدا: "اللون هاجسي الأكبر، فهو أداتي الوحيدة للتعبير لذلك أعتني كثيرًا بتحضيره على سطح اللوحة.. يغريني التوتر البصري الذي يصدره لون محدد بتجاوره لألوان محددة، فهو موسيقى اللوحة ونغمها، أعتقد أن بقعة صغيرة من اللون يمكنها أن تحمل قدرًا هائلاً من الدراما والتعبير، وأعمالي في المعرض الحالي تتمحور حول حضور الذاكرة، ذاكرة الأشخاص، ذاكرة الأشياء وذاكرة الأمكنة".

باحثة أردنية تعاين أحوال الشباب العربي عشية الثورات العربية

صدر مؤخراً عن "سلسلة ترجمان" في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، كتاب للباحثة الأردنية بسمة المومني، بعنوان: "فجر العرب: شبابه وعائده الديموغرافي". تبحث فيه (224 صفحة بالقطع المتوسط)، شؤون الشباب العرب وشجونهم، وأحوال مجتمعاتهم، وطموحهم ورؤيتهم للمستقبل عشية الثورات العربية وخلالها. مستندة في بحثها إلى مجموعات مناقشة مركزة أعدتها في عدد من الدول، ومؤتمرات واجتماعات شاركت فيها، ومقابلات شخصية أجرتها، تتمحور كلها حول السؤال: ماذا يعتقد الشباب العرب وماذا يريدون؟.

في الأفق .. دراسة تبحث في "أسئلة العمل الثقافي المدني في سورية"

ضمن برنامج "أولويات العمل الثقافي"، عقدت مؤسسة "اتجاهات- ثقافة مستقلة" اتفاقًا مع الباحث عدي الزعبي، لإجراء بحث يتناول مسألة "دعم الفن السوري ضمن أطر مستدامة". ويأتي هذا التكليف في ظل الحرب السورية، وبعد أن اضطر كثير من الفنانين والعاملين في المجال الثقافي إلى الهجرة خارج البلد، وإلى التعامل مع منظمات مختلفة تقدم لهم الدعم المالي لإنجاز مشاريع فنية وثقافية متنوعة؛ ينطبق الأمر -أيضًا- على أولئك الذين يعيشون في سورية، حيث يسعون للحصول على تمويل من هذه الجهات في ظل الوضع الاقتصادي الصعب. ويعمل هذا البحث على دراسة أساليب هذا التمويل وطريقة توزيعه وطبيعة المشروعات التي أنجزت عن طريقه، من أجل طرح أسئلة حول العمل الثقافي المدني في سورية، وإمكانية تحول الدعم إلى دعم مستدام. وتقسم هذه الدراسة إلى شقين: تحليل بيانات بعض المنظمات الداعمة، وطرح أسئلة حول إمكانية تحول هذا الدعم إلى دعم مستدام.

يُذكر أن عدي الزعبي قاص وصحافي ومترجم سوري، يعيش حاليًا في الدنمارك. حاز على إجازة في الهندسة الكهربائية من جامعة دمشق 2004، وإجازة في الفلسفة من الجامعة اللبنانية 2007، ماجستير في الفلسفة من جامعة "أست أنجليا" في بريطانيا 2010، ودكتوراه في فلسفة اللغة من الجامعة نفسها 2015.

مؤسسة «ألف نون» تطلق تقويمًا فنيًا للعام 2017

أطلقت مؤسسة «ألف نون .. فنون وروحانيات» الفنية السورية، "تقويم 2017" الذي يضم مجموعة أعمال تشكيليين سوريين، ويأتي هذا التقويم كمساهمة من المؤسسة في دعم المجتمع المدني المحلي. حيث سيوزع التقويم مجاناً لبعض الجمعيات الخيرية في المحافظات السورية ويعود ريع المبيع لهم. وقال التشكيلي بديع جحجاح صاحب «ألف نون»: "نحن مجرد جسر.. وهذه باكورة مشاريعنا لهذا العام الجديد.. وهو محاولة جادة لتعميم الذائقة البصرية أولاً، ومبادرة متواضعة في المساهمة بتوثيق الذاكرة التشكيلية السورية.. ومن جانب آخر هي محاولة جادة لدعم الجمعيات الخيرية في هذا الزمن الصعب..".

طلعنا عالحرية